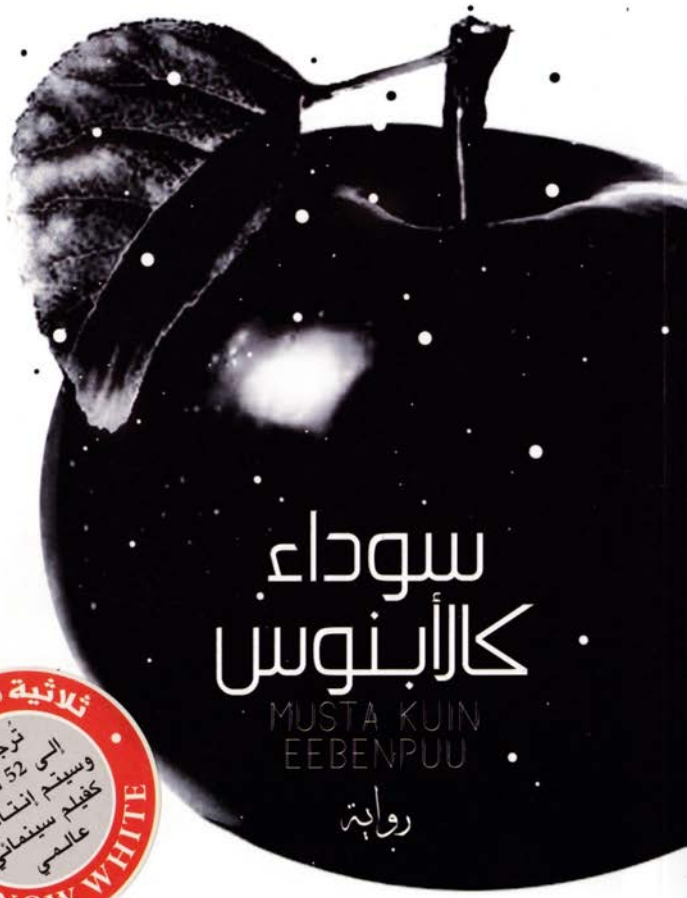

سوداء كالأبنوس

MUSTA KUIN EEBENPUU

رواية

ثلاثية «بياض الثلج»

تُرجمت إلى 52 لغة وسيتم إنتاجها كفيلم سينمائي عالمي

SNOW WHITE

سَالا سيموكّا

SALLA SIMUKKA

مكتبة 428

الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc.

سوداء كالأبنوس
MUSTA KUIN EEBENPUU

428 | مكتبة

في سالف الأزمان، عاشت فتاة لها ظل أسود يطاردها.

تستعدّ المدرسة العليا للفنون لعرض مسرحي جديد مستوحى من قصة «بياض الثلج» الخرافية؛ ولكن بقالب عصري حديث. أما دور البطولة، فيُسنَد بالطبع إلى الجميلة لوميكي أندرسون. تمضي كل التحضيرات بسلاسة ويسر؛ في الوقت الذي تكتشف فيه لوميكي فجأة انجذاباً وشرارة تُشعل نارَ حبّ جديد بينها وبين ممثل شاب يلعب دور الصياد.

ترى، هل سيجد السلام والسعادة طريقهما إلى حياتها أخيراً؟ وبينما يقترب موعد الافتتاح، تبدأ لوميكي بتلقي رسائل غريبة من معجب غامض؛ وسرعان ما يتحول إعجابه رويداً رويداً إلى هوس مخيف. تكشف الرسائل الغامضة أجزاءً من ماضي لوميكي لا تعرف هي نفسها عنها شيئاً. ويبدأ المعجب السري بتهديدها بأن يقلب حفل الافتتاح رأساً على عقب ما لم توافق على تنفيذ طلباته. وعندما تصمّم لوميكي على اكتشاف هوية مطاردها، تظهر للعيان أسرار مظلمة من ماضي حياتها وحياة عائلتها. يكاد الوقت ينفد من بين يديها؛ فحفل الافتتاح يشارف على البداية، ويجب على لوميكي أن تعثر على طريقة تتفوق بها بالذكاء على مطاردها المهووس ذي الروح المظلمة السوداء كالأبنوس.

سوداء كالأبنوس
MUSTA KUIN EEBENPUU

رواية

سَالا سيموكّا
SALLA SIMUKKA

ترجمها إلى الإنكليزية
أوين ف. وايتسمان

ترجمة
ربى خدام

مكتبة | 428

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

مكتبة

telegram @ktabpdf

telegram @ktabrwaya

جديد الكتب والروايات

تابعنا على تيليجرام اضغط هنا

تابعنا على فيسبوك اضغط هنا

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النص الإنكليزي عن الأصل الفنلندي

MUSTA KUIN EEBENPUU

Translated from an English translation by Owen F. Witesman
(Translation copyright © 2014 Owen F. Witesman), published in 2015
by Hot Key Books
in the United Kingdom under the title As Bkack As Ebony.
Published with permission.

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Tammi Publishers, Helsinki, Finland, represented by Elina Ahlback
Literary Agency, Helsinki, Finland

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © Salla Simukka, 2014
Original Edition Published by Tammi Publishers, Helsinki, Finland
All rights reserved
Arabic Copyright © 2016 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
2016 م - 1437 هـ

ردمك 978-614-01-1316-9

مكتبة ٢٠١٩٥٥

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

إهداء

لكل من يعيش وحيداً

كنت أراقبك.

كنت أراقبك وأنت لا تدرين. كنت أراقب كل حركة تقومين بها، وكل تعبير يظهر على وجهك. كنت تخالين أنك لا مرئية، ولا يمكن لأحد أن يلاحظ وجودك، لكنني رأيت كل ما قمتِ به.

أعرفك أكثر مما يعرفك أي شخص آخر، أعرفك أكثر من نفسك.

وأعرف كل شيء عنك.

الجمعة، 8 كانون الأول

1

أفاقت لوميكي من نومها لتجده يتأمّل وجهها.

كانت نظرته تشعّ دفئاً وحناناً، غير أن العينين اللتين كانتا تحدقان إليها لم تكونا غريبتين عليها، بل كانت تعرفهما كما تعرف عينيها؛ فهي تعرف ذلك اللون الأزرق الفاتح الذي تتخلله مسحة من الجليد والماء والسماء والنور. كانت تانك العينان تبتسمان في تلك اللحظة، بالرغم من أن نظرتهما كانت ثابتة وراسخة، ثم امتدت يد لتمسح على شعرها. لم تدرِ لوميكي إن كانت على ما يرام؛ بالرغم من الدوار الذي اعتراها. وخلال لحظة، أصبحت مستعدة، فهي تثق بأنه لن يقوم بأي شيء قد يؤذيها. فكل منهما يريد الخير للآخر، ولن يقبل أي منهما بما هو دون ذلك.

وفجأة، وفي ظل هذه الأجواء اللطيفة والناعمة فتحت عينيها، فابتعد الشخص قليلاً. نظرت لوميكي إلى عينيه؛ إذ وجدت أمامها عينين بنيتين تظهر فيهما آثار السعادة الممزوجة بالمودة.

كانتا عيني سامبسا الذي هتف: «صباح الخير أيتها الجميلة النائمة».

فتمتمت لوميكي وهي تمد ذراعيها لأنها أحست بالخدر فيهما: «كم مضى من الوقت على هذه الدعابة؟».

فرد عليها: «مئة عام على الأقل».

قالت: «بل إنها أقدم من ذلك؛ فقد كتب بيرولت تلك القصة خلال القرن السابع عشر، ثم أعاد الأخوان غرم كتابتها في القرن التاسع عشر، إلا أن القصة كانت معروفة قبل ذلك بوقت طويل. ولكن، هل تعرف أنه في أحد إصدارات القصة لم يقم الأمير بإيقاظ الجميلة النائمة بقبلة لطيفة، بل كانت الأمور فظيعة؟ الحمد لله أن هذا الإصدار لم يلقَ رواجاً...»

في تلك الأثناء، بدأت لوميكي تجد صعوبة في مواصلة الحديث، فقد كانت جاذبية سامبسا تبسط نفوذها عليها وتسلب لبّها.

همس سامبسا: «دعك من المحاضرات التي تلقى في المدرسة».

عندها، توقّف تفكير لوميكي، إذ لم يكن لديها أي مبرر لتفكر بأي شيء أو أي شخص آخر.

أخذت لوميكي تنظر إلى ظهر سامبسا وهو يقوم بإعداد القهوة السريعة في الوعاء المخصص لذلك أثناء جلوسها إلى طاولة المطبخ، كما أخذت تراقب الماء المغلي المخصص للكاكاو الذي يعده لنفسه في وعاء آخر. كان ظهر سامبسا مشدود العضلات بشكل يوحي بالثقة بالنفس.

كان شعر سامبسا البني أشعث، وكان يترنم بأغنية بقيت فرقته تتدرب عليها في ذلك الحين. كان يعزف الموسيقى الشعبية الحديثة؛ حيث كان عازف الكمان في تلك الفرقة، والوحيد الذي يحق له أن يرتجل بشكل منفرد. كانت لوميكي قد حضرت حفلتين من حفلات تلك الفرقة خلال الاجتماعات المدرسية، ولم تكن الموسيقى التي

تعزفها الفرقة من النوع الذي تحبه بالضبط، إلا أن الإيقاع كان سريعاً ومفعماً بالسعادة والحيوية، بل كانت أغاني الفرقة مناسبة تماماً ضمن النمط الذي اختارته لنفسها.

إنه كانون الأول، وها هي قطرات المطر تضرب زجاج نوافذ المطبخ، مما دفع لوميكي إلى رفع قدميها فوق كرسيها، ثم لفت ذراعيها حولهما ووضعت ذقنها فوق ركبتيها، وأخذت تفكر: منذ متى أصبح أمراً عادياً بالنسبة إليها أن يتجول شاب وسيم في مطبخ شقتها الصغيرة الحزينة كل صباح؟

اعتقدت أن الأمر بدأ مع بداية فصل الخريف الدراسي؛ أي منذ منتصف شهر آب. أو لعل ذلك لم يبدأ مع بداية ذلك الفصل بالضبط، وذلك لأنه منذ الأيام الأولى لذلك الفصل كان جميع زملائها في المدرسة يرغبون بالتحدث إليها حول النار التي شبت في البيت الموجود في مدينة براغ، وكان يريدون أن يسمعوا منها كيف أنقذت حياة الأشخاص الذين كانوا داخل ذلك البيت، حيث أنقذتهم من الموت حرقاً. كيف كان شعورها حينما أصبحت بطلة؟ وكيف كان شعورها حينما أصبحت مشهورة؟ وكيف كان شعورها حينما رأت صورها في كل المجلات؟ بالطبع، قامت وسائل الإعلام في فنلندا بتغطية ذلك الحدث، وهكذا أصبحت كل الصحف في البلاد ترغب بإجراء مقابلة مع لوميكي بعد عودتها إلى بلادها، ولكنها رفضت كل ذلك.

كانت لوميكي تجيب باقتضاب عن أسئلة زملائها الفضوليين في المدرسة، إلى أن ضجروا منها. واستغرب بعضهم كيف أنهم لم

يدعوها وشأنها منذ البداية وظلوا يلاحقونها بأسئلتهم.

ثم جاء سامبسا الذي كان يدرس في المدرسة التي تدرس فيها لوميكي منذ البداية، ويتجول في القاعات ذاتها، ويجلس في الصفوف نفسها. كانت لوميكي تعرف اسمه، إلا أنه لم يكن بالنسبة لها أكثر من مجرد وجه آخر ضمن المجموعة.

وفي أحد الأيام، أتى سامبسا وجلس بجانب لوميكي في المقصف، وكان قد جاء ليتحدث إليها قبل بدء الحصة، ثم سار معها أثناء عودتها إلى البيت، فوصلا معاً إلى الساحة الموجودة وسط المدينة. وقد قام هو بذلك وكأن الأمر أكثر من طبيعي. وهكذا، لم يضغط سامبسا عليها أو يقحم نفسه في حياتها، كما أنه لم يحاول أن يتوسع في الحديث كلما أدرك أن الحوار العادي قد وصل إلى نهايته الطبيعية، كما أنه لم يكن يشعر بالإهانة إن صدته لوميكي بفظاظة من حين إلى آخر.

كان سامبسا يتحدث إليها فقط، ويراقبها بنظراته الودودة المنفتحة. كان يتواجد بالقرب منها، ولكنه كان يعرف متى يغادر قبل أن تنقلب الأجواء ويصبح الإحراج سيد الموقف.

كان كل تصرف يبديه يعبّر عنه؛ وكأنه يقول: «لا أتوقع أي شيء منك، ولا أحلم بالوصول إلى أي شيء معك، ولن أطلب أي شيء منك. لذا، بوسعك أن تبقي على سجيتك؛ لأنني أحس بالسعادة حينما أمضي وقتي بصحبتك. كما أن احترامي لذاتي لا يتوقف على ابتسامة تمنحيني إياها، ولكنني لن أمانع إن منحتني ذلك الشرف».

وشيئاً فشيئاً، وجدت لوميكي نفسها تتوق وتتشوق للقاء سامبسا، حيث أخذت تحس بالدفء حينما يجلس إلى جانبها وينظر إلى عينيها

مباشرة بكل إخلاص وسعادة. كما كانت تحس بتشنج طفيف في معدتها حينما كانت يد سامبسا تلمس يدها.

وهكذا، بدأت لقاءاتهما خارج إطار المدرسة، حيث كانا يتمشيان مع بعضهما، ويشربان القهوة معاً، كما كانا يرتادان الحفلات الموسيقية معاً. كانت لوميكي تحس بأنها أشبه بريشة يحملها نسيم لطيف خلال تلك اللحظات وتلك الحالات التي بدت لها في غاية العفوية، وفي وقتها المناسب. ومن بين تلك اللحظات اللحظةُ التي أمسك سامبسا فيها بيدها، بعد غياب شمس تشرين الثاني. كان سامبسا حليماً؛ إذ لم يحاول أن يدفع لوميكي للقيام بأي شيء لم تكن على استعداد للقيام به.

وبحلول شهر كانون الأول توطدت علاقتهما؛ وذلك عندما أحست لوميكي بأن الأمور تجري وفق ما ترغب؛ إذ وقعت أخيراً بحب شخص آخر، بعدما تجاوزت قصتها مع بليز وانفصالها عنه، بالرغم من أن ذلك استغرق وقتاً طويلاً بالنسبة لها، أي أكثر من سنة. وهكذا، لم يعد أمام لوميكي أي خيار سوى أن تتقبل قرار بليز، بالرغم من أنها لم تستطع أن تستوعبه برمته.

ولكن، ها هو سامبسا يقف في مطبخها الآن، ويقوم بإعداد القهوة وهو يدندن بطريقة تشعر بالغبطة.

هذه حياتها، وهي جميلة.

لذلك، لم تكن لتهتم بتلك القطرات الباردة التي أخذت تضرب زجاج النافذة بقوة، والتي كان صوتها أشبه بصوت أظفار أحدهم وهو يحاول أن يخدش الزجاج ليدخل البيت.

2

في قديم الزمان كان هناك مفتاح.

كان ذلك المفتاح معدنياً وبحجم كف اليد، وعلى رأسه حفر شكل قلب بكل براعة. صُبَّ المفتاح في العام 1898، أي في العام ذاته الذي صنع فيه الصندوق الصغير وزُود بقفل مناسب للمفتاح. وبمرور السنين، أصبح ذلك المفتاح مصقولاً ولامعاً بفعل لمسات أيدي بني البشر.

كان أول شخص حمل ذلك المفتاح هو الحداد الذي صنعه، ثم وصل إلى يد أول مالك للصندوق، والذي كان لديه سبعة أبناء حملوا المفتاح، كل بدوره. وفي ذلك الحين، تنقّل المفتاح بين أيدي كثيرين، لدرجة بات معها التعرف على بصمات الأصابع التي أمسكته ضرباً من المستحيل.

أما آخر مرة قام فيها أحدهم بلمس ذلك المفتاح فكانت منذ أكثر من خمس عشرة سنة، حيث حمله شخصان عدة مرات؛ كل بدوره، إلّا أن المفتاح أصبح أثقل من وزنه المعتاد حينما وصل لأيديهما. لذا، حينما قاما بتحريك المفتاح في قفل الصندوق، شعرا وكأن أحدهم قد قام بتحريك سكين حادة ومسننة في قلبيهما. لذا، هطلت دموع حارة فوق ذلك المفتاح حينما لمسه أحدهم لآخر مرة.

إلا أن النسيان لم يطوِ صفحة ذلك المفتاح، إذ كان هنالك

شخصان يفكران فيه مع إشراقة كل يوم، وكأنه قد طبع في ذهنيهما ولا يزال يتوهج بحديده المتقد. وهكذا، إن استطاعت أفكارهما جعل ذلك المفتاح يتوهج، فعندها يمكن لبريقه المتألق أن يكشف المكان البعيد الذي خُبّئ فيه.

في قديم الزمان، كان هناك مفتاح وُضِع في مخبأ.

وفي الحكايات- كما في الحياة الواقعية- لا بد لكل ما هو مُخبَّأ أن يظهر في نهاية المطاف.

كان ذلك المفتاح ينتظر من يلمسه مجدداً ليفتح به الصندوق، ولكنه كان ينتظر بكل صبر وأناة وهو بلا حراك، ومن دون أن تصدر عنه أية نأمة.

لا بد أن يحين وقت اكتشافه قريباً.

3

كانت تلك غابة لوميكي، حيث الأغصان أشبه بظلال داكنة، في حين أن الظلال الداكنة كانت أشبه بالأغصان فيها. وقد التفت جذور الأشجار فوق الأرض كالأفاعي، وذلك قبل أن تندفن في التربة لتشكل شبكة واسعة وكثيفة من الجذور. كانت تلك الجذور تلتف حول بعضها بعضاً، أما جذوع الأشجار المختلفة فكانت تتجمع تحت سطح التربة لتشرب من نبع الحياة ذاته. كانت أغصان الأشجار ترسم خارطتها بين الأشجار وهي تتجه نحو السماء. وهكذا، تشابك الكثير منها، حيث لم يتمكن النور من إيجاد أي سبيل للمرور عبرها بسهولة. كانت تلك الأغصان والفروع أشبه بأذرع تمسد الشعر وتمسح عليه. بعضها رفيع ودقيق، وبعضها الآخر غليظ ومتين، إلا أن جميع الأغصان كانت جميلة.

كانت الغابة أشبه بلعبة للظلال، أو برقصة بين الضوء الخافت والضباب، أو أشبه بلعبة بين الهمسات الخافتة والآهات. أما تيارات الهواء التي كانت تمر في تلك الغابة فقد كانت تجعل الوبر على ذراعي لوميكي ينتصب. كان الجميع يرحب بلوميكي؛ المخلوقات الخفية، والحيوانات الخرافية، والدواب الزاحفة، وسكان الأماكن المظلمة. إذ كانت قد عادت إلى طبيعتها مرة ثانية.

كانت الظلمة قد خيمت على الغابة وعلى أعماق لوميكي، لكنها كانت ظلمة من نوع مألوف وغريب في الوقت ذاته؛ ممّا جعل لوميكي تركض بحرية أكبر داخل الغابة، ثم أخذت تتنفس بعمق أكثر. وبعدها، حلت الريح الشريطين اللذين كانت ترفع بهما شعرها، فسقطت ضفيرتاها حالما باغتتهما رياح الغابة التي شتتت شعرها في كل اتجاه بأقصى ما تستطيع من قوة. وهكذا، أخذت الأغصان الصغيرة وأوراق الأشجار تلتصق بخصلات شعرها، كما تمزّق قماش ثوبها الحريري، وأصيبت ذراعاها بسحجات. عندها، أخذت لوميكي تستنشق رائحة التراب والأوراق المتعفنة. وفجأة، ثبتت عيناها على مشهد معين؛ حيث رأت حركات بسيطة للظلال، ثم رأت دماء على يديها وقد جفت بسرعة واستحال لونها إلى الأسود، ولهذا وجدت أنه من العبث أن تحاول إزالة تلك الدماء عنهما، وذلك لأن هذه الآثار ستبقى على يديها إلى الأبد؛ لأن لوميكي قاتلة ومفترسة.

كانت تلك هي غابة لوميكي، وثمة فسحة داخل ظلمتها للعاطفة والخوف، وكذلك لليأس والبهجة. أصابها الهواء الذي ملأت به رئتيها بالدوار؛ إذ كان في احتواء الغابة لها شيء ساعدها على الاكتمال، حيث أصبحت أكبر وأهم من نفسها، بل أصبحت أكثر حرية. قررت لوميكي أن تستلقي على الأرض، وأن تضغط براحة يدها على سطح الأرض الرطبة، وأن تتمنى أن تصبح جزءاً من تلك الجذور لتختلط بها وتخترق سطح التربة وتصل إلى نبع الحياة الرئيس.

تنهدت الغابة وأخذت تنبض حول لوميكي؛ وكأن لديها نبضاً واحداً، ألا وهو نبضها.

أخرج صوت تينكا لوميكي من الحالة التي كانت فيها، فنهضت لتجلس على خشبة المسرح، وأحست بأنها قد استيقظت لتوها من نوم عميق. كان لذلك المشهد في المسرحية التأثير ذاته عليها في كل مرة؛ إذ كانت تندمج فيه لدرجة تنسى فيها أنها على خشبة مسرح مدرج صغير في مدرستها، وأنها تتدرب على تمثيل تلك المسرحية التي كان اسمها: التفاحة السوداء.

لم تكن لوميكي تدري بعد ما إذا كانت موافقتها على التمثيل في تلك المسرحية فكرة صائبة أم لا، إذ كان سامبسا هو من أغراها بقبول هذا الدور.

صاح سامبسا وهو يبتسم تلك الابتسامة السعيدة والمشجِّعة التي كانت لوميكي مستعدة للقيام بأي شيء مقابل رؤيتها مرسومة على وجهه: «هيه، إنها عادة جديدة يا بيضاء الثلج. إذ كيف يمكنك أن تضيعي تلك الفرصة بوجود اسم كاسمك؟ يبدو أن دور بيضاء الثلج قد كتب خصيصاً لك».

كانت لوميكي على استعداد للمشاركة في المسرحية، بالرغم من أن فكرة تمثيل دور يحمل اسمها تقريباً تبدو أشبه بتعظيم للذات. إذ كانت تحس بالاستياء لأن نصف الأشخاص الذين قابلتهم في حياتها شعروا أن عليهم أن يلقوا على مسمعيها نكاتاً سمجة بخصوص اسمها الأول المأخوذ من القصص الخيالية. وقد احتاجت تينكا التي كتبت المسرحية وكانت تعمل على إخراجها أيضاً إلى جلستَي تدريب لتقنع لوميكي بأن النص رائع، وأن الإنتاج سيكون مذهلاً. كانت تينكا قد انضمت إلى مدرستهما في ذلك الخريف، إلا أنها كانت تتمتع بما

يكفي من الجرأة لتوجيه طلاب يكبرونها بعامين.

كانت تينكا تبدو من الخارج كطالبة نمطية متطفلة على الفن، وذلك بسبب طريقة انتقائها ملابسها وتسريحات شعرها التي كانت تتغير على الدوام؛ إذ كان من الممكن أن تأتي إلى المدرسة في أحد الأيام وهي ترتدي تنورة قصيرة وقد لفت شعرها الأحمر على شكل كعكة، ثم تأتي في اليوم التالي وهي تنتعل جزمة وترتدي بنطال جينز مخرماً وقميصاً أكبر من قياسها وشعرها مرتب كيفما اتفق، وقد تأتي في اليوم الثالث ببزة مؤلفة من ثلاث قطع مع قبعة رسمية. غير أن ذلك التنوع والتحول السريع لم يكونا بغرض لفت الأنظار، فهي لم تكن تتصنع، بل كانت مباشرة وبسيطة وحازمة بطريقة كانت تعجب لوميكي.

مكتبة t.me/ktabpdf

كانت مسرحية التفاحة السوداء تفتتح بمشهد للأمير وهو يحدق إلى بيضاء الثلج الممددة داخل التابوت الزجاجي وهو يكاد يذوب عشقاً بتلك العذراء الجميلة التي تنام بلا حراك. وبعد ذلك، يبدأ بعض الأشخاص بنقل التابوت إلى قلعة الأمير. وفي الطريق، تزل قدم أحد الأشخاص الذين يحملونه، فينقلب التابوت وتقع قطعة التفاح المسمومة الموجودة في حلق بيضاء الثلج، وهذا ما يجعلها تنهض من التابوت. وهنا، يمكن القول إن الحبكة حتى هذا المشهد تتبع أحداث القصة الخيالية التقليدية ضمن مسرحية تينكا. ولكن، حينما تنهض بيضاء الثلج من السبات الذي تسبب به السم، لا تبدي أي حماسة لتكون خطيبة الأمير وعروسه المستقبلية، وذلك لأنها اعتادت على حياة الغابة، وعلى ظلالها وحيواناتها. لذا، لم تكن ترغب بمغادرتها

والرحيل إلى قلعة ذهبية حيث يكون لديها في تلك القلعة الخدم والحشم الذين سيكونون طوع بنانها؛ لأن الملكة تتمتع بقدر ضئيل من الحرية التي تمكنها من القيام بما يحلو لها. ثم إن الأمير لم يعجب سوى بجمالها، ولم يهتم بعقلها وتفكيرها.

لقد كانت لمسرحية تينكا إيحاءات نسائية بادية للعيان، غير أن تلك الإيحاءات لم تأتِ على شكل وعظ أو أوامر، بل كانت مكثفة ومربكة. إذ لا توجد شخصية مثالية خالصة ضمن شخصيات مسرحية التفاحة السوداء. فحتى الصياد الذي حاول أن ينقذ بيضاء الثلج، كانت رغباته وأحلامه هي التي دفعته للقيام بذلك.

وإحساساً عقب إحساس، أخذت لوميكي تعود للعالم الواقعي المعتاد الذي يحيط بها، كما أخذت تستفيق من تأثير الفصل الأخير؛ الأمر الذي كان يستغرق بعض الوقت في كل مرة. كان ذلك المشهد مؤثراً، وله تأثير التنويم المغناطيسي عليها، وذلك حينما يتعين عليها أن تبقى ممددة على الأرض، ثم تخفت الأنوار، حيث يسود الظلام خشبة المسرح والمدرج لهنيهة قصيرة، ليُسمع بعد ذلك صوت قلب نابض يطغى صوته بشكل متزايد على أصوات المتحدثين الجالسين على المدرج. وقبل ذلك المشهد، يصل للوميكي خبر وفاة الصياد، بعدما قامت هي بقتل الأمير باستعمال مشطها الفضي الحاد، ثم تهرب من القلعة وتعود إلى غابتها الحبيبة، لتبقى برفقة الظلمة والظلال والوحوش.

حينما تدرب الممثلون على ذلك المشهد للمرة الأولى بوجود سائر الديكورات والدعائم والمؤثرات الصوتية والإضاءة، لم يتمكن

أحد منهم من أن ينبس ببنت شفة لفترة طويلة بعد انتهاء المشهد، بل كان كل منهم ينظر إلى الآخر وكأنه يسأله: «هل شعرت بذلك أنت أيضاً؟ هل كنا في عالم آخر؟».

أخذت تينكا تذكِّر الجميع بقولها: «ستكون الجلسة التدريبية المقبلة ليلة الاثنين في الوقت والمكان نفسيهما».

فاقترح عليها أليكسي الذي كان يلعب دور الأمير قائلاً: «ألم نصبح جاهزين بعد؟ ما رأيكم بإجازة لليلة واحدة؟».

فما كان من تينكا إلا أن نظرت إليه نظرة استهجان وقالت:

«أمامنا أسبوعان قبل ليلة الافتتاح، وما زالت لدينا الكثير من الأعمال التي يجب أن نؤديها. وما زال البعض بحاجة إلى حفظ دوره جيداً خلال تلك المدة».

عندها، هزّ أليكسي كتفيه بلا مبالاة، وبدأ يسير متجهاً إلى خارج المدرج.

وهنا توجّه سامبسا نحو لوميكي، وأخذ يمسد ظهرها وهو يقول: «لقد كنتِ رائعة بحق، هذه المرة أيضاً».

فردت عليه لوميكا وهي تعقد شريط حذائها الغليظ: «أشكرك».

إلا أن يديها بقيتا ترتجفان بعض الشيء.

قال لها سامبسا: «أراك غداً؛ إذ علي أن أسرع لأنني تأخرت، ولأن أمي ستصاب بلوثة جنون إن تأخرت أكثر».

ثم قبّل جبهتها، ورمى حقيبة ظهره فوق كتفه وغادر؛ إذ سمح له المشهدان الأخيران باستغلال ما يكفي من الوقت ليقوم بتغيير ملابس الصياد، حيث كانت عائلته قد اعتادت على الاجتماع لتناول

طعام العشاء مساء كل جمعة، ويشمل ذلك العشاء جده وجدته وعمته التي تعيش في تامبيري. وقد استمرت عائلته على ذلك المنوال طيلة سنوات، لذا لم يكن سامبسا يرغب بعدم حضور تلك الاجتماعات بين الفينة والأخرى. وكان قد دعا لوميكي لحضور تلك الاجتماعات العائلية مرتين، غير أنها رفضت في كل مرة؛ إذ لم تكن تستهويها فكرة أن ينظر إليها الجميع ويعاينوها. إلا أنها مع ذلك وعدته بأن تذهب يوم الأحد لشرب القهوة مع أهله، حيث لا يتواجد في البيت يوم الأحد سوى والديه وشقيقته الصغيرة، مع أن وجودهم يشكّل عقبة كبيرة بالنسبة لها.

كان الصمت الذي يوحي بالنعاس قد خيّم على المدرسة المظلمة التي خلت من طلابها حينما أخذت لوميكي تهبط الدرج برفقة تينكا لتصلا إلى البهو المليء بالمرايا. كانت القاعات تبدو غريبة وهي خالية، ولهذا كان لوقع خطواتهما صدى. أما خلال النهار، فقد كانت الممرات تعج بالطلاب، لدرجة أن مستوى شدة الصوت في ذلك المكان كان يفوق حدود السلامة المسموح بها في المنشآت الصناعية.

كانت تينكا تحلّل المشكلات التي واجهتها في كل مشهد من مشاهد المسرحية، غير أن لوميكي لم تستطع أن تركز على ما كانت تقوله لها، ممّا جعلها تتساءل: هل أخطأتُ حينما وافقتُ على التمثيل في تلك المسرحية؟ لم يعجبها أنها كانت تغرق في دورها كلياً، وكيف أن العالم الواقعي كان يختفي من حولها؛ إذ لم تكن تمثل دور بيضاء الثلج وهي تجري في الغابة، بل كانت هي بيضاء الثلج التي تجري

في تلك الغابة، وكانت تشم رائحة الدم الموجود على يديها. لقد كان نبض بيضاء الثلج نبضها، إلا أن لوميكي لم تعتد أن تفقد السيطرة على نفسها بهذا الشكل، وهذا ما أخافها بالفعل.

وأخيراً، لاحظت تينكا انعزال لوميكي، لذا ارتدت كل منهما معطفها بصمت، ثم لفت لوميكي حول رقبتها الوشاح الصوفي الأحمر السميك الذي نسجته لها زميلتها في الصف إيليز ثم أرسلته لها عبر البريد. كانتا قد بقيتا على تواصل، إلا أنه لم يخطر على بال لوميكي خلال الشتاء الماضي أن تصبح إيليز صديقة حقيقية لها.

كانت حبات الثلج الرقيقة والكبيرة تتساقط في الخارج، غير أنها كانت تذوب فور ملامستها للأرض السوداء، لذلك لم يكن هنالك ما يوحي بأن شهر كانون الأول قد يتحول إلى شهر مكلل بالبياض.

هتفت تينكا حالما خرجتا من بوابة المدرسة: «قد يكون بعض أفراد الفريق خارج البيت لتناول طعام الغداء، إلا أنك لست معهم على الأقل لأنك تميتين تلك الرغبة».

ثم لوّحت لها، وانتقلت إلى الجهة المعاكسة للوميكي التي لم تُبدِ أي رد فعل ملموس على ذلك. أخذت لوميكي تخوض في الوحل بحذائها وهي تواصل طريقها إلى مركز المدينة. وأثناء سيرها على الرصيف، رأت مدرس علم النفس وأحد مدرسي مادة الرياضيات اللذين يبدو أنهما قد تأخرا في عملهما. إذ كثيراً ما يقضي المدرسون ساعات أكثر في العمل خلال هذه الفترة من السنة، وذلك لأنهم يقومون بتصحيح الاختبارات والمقالات. كما أن بعضهم يفضّل عدم العمل في البيت، ولذلك يبقى في المدرسة حتى ساعة متأخرة

من الليل. وهكذا، كان من الممتع رؤيتهما خارج المدرسة وهما يتجاذبان أطراف الحديث ويضحكان. ومع ذلك، شعرت لوميكي بالسعادة لأنها بقيت بعيدة عنهما، حيث لا يمكن أن تصلها أي كلمة مما يقولانه؛ لأنها كانت تعتقد أنه من الأفضل ألا تعرف الكثير عن حياة معلميها الخاصة.

كان برج دار عبادة ألكساندر الأحمر يخترق بأنواره عنان السماء بكل جلال وجمال. وكانت العتمة تلف المكان، لدرجة أصبح من الصعب معها رؤية بعض شواهد القبور القديمة الموجودة في مدفن دار العبادة حينما يسير المرء على الرصيف. أما حبات الثلج الكبيرة فكانت تشبه قطع الريش المنثورة على أغصان الأشجار القاتمة، مما دفع لوميكي إلى وضع يديها داخل جيبَي معطفها ثم أن تسير بسرعة أكبر.

غير أنها أحست بشيء يحتك بيدها داخل جيب معطفها الأيسر، كما أحست بأن ذلك الشيء لا يمت بأي صلة للمعطف، فما كان منها إلا أن أخرجته، فرأت ورقة بيضاء مطوية أربع طيات. وهكذا، أخذت لوميكي تفتحها طية إثر طية، فوجدت رسالة قصيرة كتبت بواسطة الحاسوب. لذا، وقفت لوميكي تحت أحد المصابيح الموجودة في الشارع لتقرأ تلك الرسالة التي جاء فيها:

حبيبتي لوميكي،

إن أميرك لا يعرفك، سواء أكان ذلك في المسرحية أو في الحياة الواقعية؛ لأنه لا يرى سوى قوقعتك الخارجية. إنه لا يرى سوى جزء منك. ولكنني أرى ما هو أعمق من ذلك، لأنني

أصل إلى روحك.

لقد كان هنالك دم على يديك يا لوميكي، وأنت تعرفين ذلك كما أعرفه.

كنت أراقب كل حركة تقومين بها.

لا بد أن تصلك رسالة أخرى مني قريباً. لكن، عليك أن تعرفي أنك إن أطلعت أياً كان بأمر هذه الرسائل، ولو كان مجرد شخص واحد، فلا بد أن تري كمية أكبر من الدم. وعندها، لن يبقى أحد حياً ليلة افتتاح مسرحيتك.

مع محبتي

المعجب بك: ظلك

أخذت لوميكي تتنفس بسرعة، ثم رفعت بصرها عن الرسالة، فأحست بشيء يخفق عند جانب مجالها البصري، وكان ذلك الشيء أسود وقاتماً.

ولكنها حينما نظرت نحوه، لم تشاهد سوى ظلال للأشجار ممتدة وحزينة.

4

(كل مساء، تسمح الأميرة بشيء من اللطافة.
إلا أن من يلاطفها كانت له غايات أخرى،
في حين أن غايتها تبقى كالزهرات الخجولة،
كقصة خيالية تندهش أمام الواقع.
وهكذا، تملأ هذه اللطافة قلبها بفورة مريرة،
كما تغمر روحها بالجليد، لكن قلبها يرغب بالمزيد.
كانت الأميرة تعرف الروح، ولكنها تسعى لتصل إلى القلوب؛
غير أنها لم تكن تعرف سوى قلبها).

قرأت لوميكي قصيدة «الأميرة» لنفسها بهدوء، فسكبت كلماتها السكينة في نفسها. كانت قد قرأت نسختها من ديوان إديث سوديرغران الذي نشر بعد وفاة هذه الأخيرة، والذي يحمل عنوان: «الأرض التي لم تكن كذلك» عدة مرات، فحفظت كل قصيدة فيه، أو على الأقل يمكن القول إن الكلمات الأولى كانت تساعدها على استحضار بقية الأبيات. كانت القصائد المألوفة أشبه بتمائم وتعويذات بالنسبة إليها؛ إذ كان أثرها الذي يسكب السكينة في القلوب يكمن في طريقة تدفق الكلمات- الواحدة تلو الأخرى- ضمن ترتيب صحيح، من دون أن تعتريها أية مفاجآت أو تغيير.

لم تستطع لوميكي أن تعود إلى البيت مباشرة عقب قراءتها الرسالة، ولهذا توجّهت نحو المكتبة، وأخذت تفكر: هل هنالك من يتتبع كل خطوة من خطواتها بالفعل؟ ثم حاولت أن تبعد عنها ذلك الخوف، وفكّرت: من المحتمل أن تكون هذه الرسالة مجرد مزحة، مزحة سمجة، أو خدعة شريرة. ولا بد أن يكون هنالك شخص في مكان ما يضحك الآن وهو يفكر بمدى الرعب الذي سببه لها، ولكنه سرعان ما سيظهر ويكشف الحقيقة، وستمسك بتلابيبه حينها.

ولكن، ماذا لو كانت الرسالة حقيقية؟ ماذا لو كان هنالك من يطاردها فعلاً بجنون وهو على استعداد لقتلها؟ ليس بإمكان لوميكي أن تخاطر بنفسها بالتعامل مع الرسالة بكبرياء؛ فقد علمتها تجاربها في الحياة أنه بإمكان البشر أن يقوموا بأفعال شنيعة. كانت قد تحملت تسلط زملائها في المدرسة لسنوات طويلة، ومن ثم اقتربت وشاهدت عن كثب قساوة عمليات الاتجار بالمخدرات على نطاق عالمي. وخلال فترة الصيف التي أمضتها في براغ، رأت أحد الزعماء المحبوبين وهو يلجأ للترهيب بهدف استغلال جماعة في محاولة للقيام بعملية انتحار جماعية.

إذاً، كل ما كان ينقصها في حياتها هو وجود شخص مختل يتعقبها؛ هذا ما فكّرت فيه لوميكي وهي تتذمر من وضعها بمرارة.

خفتت الأصوات حولها بشكل رائع. حيث صارت الخطوات هادئة، كما لم يعد بالإمكان سماع صوت حفيف الأوراق والأحاديث الهامسة بسهولة. أخذت لوميكي تفكر بأنها إن مضت نحو قاعدة أي من الأقواس التي تشكل السقف المقنطر لمكتبة مدينة تامبيري،

فبإمكانها حينها أن تسمع كل كلمة تقال عند قاعدة القوس ذاتها، وذلك عند الجانب الآخر من القاعة، وإلا فستبقى تلك الكلمات بعيدة عن مسمعيها. كان المهندسان المعماريان ريما ورايلا بيتيلا قد صمما ذلك البناء على تلك الشاكلة. في تلك اللحظة، كانت لوميكي ترغب بسماع الأحاديث الخاصة التي تدور بين كل الأشخاص، كما كانت تريد أن تحاط بألفة الأصوات في المكتبة لتحس بالحماية. كانت تريد أن تكون وسط الناس، وأن تبقى بمفردها في الوقت ذاته؛ لأن ذلك سيساعدها على التهدئة من روعها، واستجماع شجاعتها لتعود إلى بيتها. إذ كانت المكتبة تبعد عن دار عبادة ألكساندر مسافة دقيقتين سيراً على الأقدام.

كانت لوميكي تشعر بالارتياح دوماً عندما تشاهد القبة وزينة الأقواس وقناطر البناء المتماوجة. كانت هنالك فسحة كافية للسير بين الرفوف، ولكن بوسع المرء أن يختبئ بينها إن أراد. كانت المكتبة مليئة بطاولات مستديرة مخصصة للقراءة، وبزوايا سرية لا يمكن لأحد أن يزعج الآخر فيها.

رغبت لوميكي بكتابة رسالة نصية لسامبسا تطلب منه فيها أن يأتي. إلا أنه لم يسبق لها أن طلبت منه ذلك من قبل، لذا لا بد أن يسألها عن السبب، وعندها ستضطر إلى الكذب عليه، وهي لا تريد أن تفعل ذلك.

كلا، عليها أن تتحمل تمضية الليلة بمفردها، ثم عليها أن تكتشف بأقصى سرعة ممكنة هوية ذلك الشخص الذي وضع الرسالة في جيبها، وعليها أن تقوم بذلك بمفردها أيضاً.

كانت لوميكي تعتقد أنها لم تعد وحيدة كما كانت في السابق، إلا أنها كانت مخطئة في ذلك. إذ أحست فجأة بذلك الفراغ المألوف بالنسبة لها، إلى جانب إحساسها بالعزلة الذي كان يغمرها من الداخل. كانت وحيدة على الدوام، وحتى النهاية. أخذت لوميكي تحدق إلى فقرات القصيدة من دون أن تتمكن من قراءتها مجدداً.

وفي تلك اللحظات، غمرتها رائحة خفيفة وعميقة لغابة الصنوبر، ثم مسحت يد دافئة على رقبتها.

«إديث سوديرغران... هل تقرئين قصائدنا من دوني؟».

عرفت لوميكي صاحب الصوت قبل أن تلتفت لتنظر من فوق كتفها. كانت تعرف صاحب الصوت وتلك الكلمات، كانت تعرفه من رائحته ومن لمسته.

لقد كان بليز.

كان يجلس بمحاذاة لوميكي ولكن خلفها، وكان يبتسم. كان هناك بالفعل. ولعله كان يبدو كفتى صغير، بل أصغر مما كان عليه خلال السنة والنصف الماضية. كان شعره أقصر وأفتح لوناً، وثمة نوع من الهدوء والثقة بالنفس في وقفته، ولكنه لم يتغير أكثر من ذلك. إذ بقيت عيناه الزرقاوان كزرقة الجليد على حالهما، وهذا ما جعل لوميكي تغرق فيهما على الفور، وكأنها قد اخترقت القشرة المتجمدة التي كانت رقيقة كفكرة، ثم غطست باتجاه البحيرة الداكنة في الأسفل.

اجتاحت لوميكي عاصفة من المشاعر؛ إذ كانت ترغب أن تقترب منه قدر المستطاع لتخبره بكل ما يتعلق بالرسالة، وبمقدار خوفها،

وبما حدث خلال السنة الفائتة. كما رغبت بأن تحكي له عن كل مشاعر الشوق والوحدة والأحلام والأفكار السوداء التي راودتها، وأن تطلب منه حمايتها وإنقاذها من العزلة ومن الشرور؛ إذ كانت لوميكي ترغب بأن تحترق وتحترق وتحترق من دون أن تهاب النار أبداً.

ابتلعت لوميكي لعابها، وسرت رعشة في جسدها، ولم تتمكن من أن تنبس بحرف.

سألها بليز وكأنه من الطبيعي أن يتحدثا كشخصين عاديين: «سُررت برؤيتك. ما رأيك بالخروج لتناول القهوة؟ أم تراك مشغولة؟».

وأخيراً، وجدت لوميكي صوتها فقالت: «لا».

رد: «حسناً. ما رأيك بالذهاب إلى الطابق العلوي حيث المقصف؟».

فأجابته: «كلّا. أقصد أنه ليس بإمكاننا أن نذهب لشرب القهوة». عندها، حدق بليز إلى لوميكي وهو يشعر ببعض الارتباك، ثم ابتسم ابتسامة خبيثة وهو يقول:

«بوسعنا أن نقوم بشيء آخر إن أحببتِ».

فما كان من لوميكي إلا أن أعادت الكتاب إلى الرف بيد مرتجفة، ثم شدت قبعتها المنسوجة فوق أذنيها وقالت:

«كلا، ليس بإمكاننا فعل ذلك لأنني مشغولة، ولا يمكنني أن أخرج معك حالياً». كانت لوميكي تسمع الكلمات وهي تخرج من فمها بتردد وبأنفاس متقطعة.

رد عليها بالقول: «حسناً، لا بأس. إذاً، نلتقي في وقت لاحق. هل ما زال رقم هاتفك هو نفسه؟ سأتصل بك لاحقاً أو سأرسل لك

رسالة نصية».

كان صوت بليز دافئاً وهادئاً، وكان على لوميكي أن تقول له: لا تفعل. بل كان ذلك ما أرادت قوله، ولكنها لم تفعل، بل اكتفت بالقول:

«عليّ أن أذهب. وداعاً».

كانت ساقا لوميكي تتوقان للجري خارج المكتبة بأقصى سرعة ممكنة، وإلى أبعد مكان عن بليز، غير أنها أرغمت نفسها على السير بحيوية وبطء من دون أن تنظر إلى الخلف.

ولم تدرك لوميكي أنه كان عليها أن تخبره بأنها تخرج بصحبة شخص آخر إلا بعد أن أصبحت في الخارج حيث الهواء الطلق.

أجل، لم تخبره بذلك لأنها نسيت تلك الحقيقة برمتها بعدما غاصت في مياه الجليد الحارقة التي تبدو في عينَي بليز.

أحبك.

كلمة واحدة من السهل أن يتفوه المرء بها، ومن الصعب أن يدرك معناها. إنني أتنفس كل حرف من تلك الكلمة، إلى أن أصبحت جزءاً مني. وهكذا، بتّ أقولها لك إلى أن تحولت إلى جزء مني، فانتقل حبي إليك، ليجعلك تتوهجين بجمال أكبر، وقوة وتألق أكثر.

لقد جعلتك تتوهجين أكثر من أكثر النجوم تألقاً، والتي تلوح في كبد السماء ليلاً.

لقد أصبحتِ لي بكل ما فيك، مثلما كانت هذه العبارة تعني في السابق، وذلك لأن هذا قدرك...

وقدري...

السبت، 9 كانون الأول

5

شقيقة، شقيقة، شقيقة، شقيقة...

كانت تلك الكلمة تتردد في رأس لوميكي وتشعرها بالصداع؛ تماماً كما كان يحصل دوماً حينما كانت تزور والديها في ريهيماكي، ولكنها لم تكن تخرج من فمها. كانت والدتها قد أعدت لازانيا على الغداء، وكانت هذه الوجبة من الأطباق المفضلة بالنسبة للوميكي، ولكنها بالكاد تذوقتها في ذلك اليوم.

أحست لوميكي بأن جميع مراكز المتعة لديها قد تخدّرت وأصابها الشلل. وهكذا، أصبح الطعام بالنسبة لها مجرد وقود ضروري لتبقى على قيد الحياة؛ حتى إن القهوة لم تعد شهية بالنسبة لها.

اعتقدت لوميكي أن سبب ذلك هو تلك الرسالة؛ إذ كانت لا تزال مقتنعة بأنها مجرد مزحة كانت هي ضحيتها. إلا أن فحوى الرسالة بقي يقلقها؛ إذ كان يكمن في مكان ما خلف أفكارها، وهذا ما أضعف بريق الألوان في عينيها، فأصبحت ترى غشاوة رقيقة تغطي العالم من حولها. ولو كان باستطاعة لوميكي أن تعرف مَن الذي أرسل تلك الرسالة، لصار بإمكانها أن تنتقم لنفسها. وبالرغم من أن انتقامها سيكون بشكل حضاري، إلا أنه سيتم بكل برودة.

ولكن في بيت أهلها، كان الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تفكر فيه هو أنها لم تكتشف بعد إن كان لديها أخت أم لا. كانت ذكرياتها قد استيقظت من سباتها خلال الصيف الذي أمضته في براغ، والتي هيجتها لينكا بكذبتها. غير أن تلك الكذبة بدت حقيقية، فأصبحت متيقنة من أنه كانت لديها أخت في وقت ما، لكنها فقدت تلك الثقة منذ أن عادت إلى فنلندا. كانت قد ظنت أنها ستطرح ذلك السؤال على طاولة البحث فور وصولها إلى البيت، إلا أن ذلك لم يحدث.

حين أخبرت لوميكي والديها بأمر لينكا، لم تذكر لهما ذلك الجزء الذي ادّعت فيه صديقتها أنها أختها. وخلال فترة الخريف، تبادلت لوميكي مع لينكا بضع رسائل إلكترونية، وذلك بعدما شرعت صديقتها بدراسة الرياضيات والكيمياء وعلم الأحياء بشكل مستقل على أمل أن تدخل كلية الطب في نهاية المطاف. وبكل حنكة وذكاء، أخبرت لينكا لوميكي بأنها لم تخرج من شقة جيري الذي وجد وظيفة جديدة لدى صحيفة محلية. إلا أن لوميكي كان تقرأ ما بين السطور، حيث أدركت أنه بعد إنقاذ لينكا من البناء الذي كان يحترق بمساعدة لوميكي، اكتشف جيري أنه يرغب بالاعتناء بلينكا، فشعرت لوميكي بالسعادة من أجلهما.

كانت لينكا توقع رسائلها الإلكترونية في بعض الأحيان بعبارة: «شقيقة روحك»، وهكذا أصبحت كلمة شقيقة تغزو أفكار لوميكي، ولكنها كانت تتجنب التفوه بها بصوت عالٍ.

ولكن لماذا؟ أليس من الأسهل أن تتحدث بشأن ذلك الأمر؟ إلا أن لوميكي لم تكن تدري ما الذي يمنعها من القيام بذلك.

لعل ذلك يرجع إلى قلق أبويها وجدّيتهما، ولكل الدفء والمحبة اللذين أظهراهما لها منذ عودتها من براغ، ولتلك الألفة غير المعهودة؛ ولهذا كانت تحس بأن فكرة استجوابهما لم تكن صائبة. كما أنها اكتشفت أن رحلة والدها إلى براغ منذ بضع سنوات كانت مجرد صدفة، وليست لها أي علاقة بأمر أختها على الإطلاق، لذا لم تكن لوميكي ترغب بتعذيبهما حيال ذلك الأمر.

والحق يقال، وهو أنها كانت تستمتع بكل ذلك الدفء، لذا لم تكن تريد أن تضحي به بالحديث عن شيء قد يكون محض خيال على أية حال؛ إذ بوسع الناس اختلاق ذكريات إن رغبوا في ذلك، أو إن اعتقدوا أن ثمة أمراً ما قد حدث في الماضي.

وهكذا، تحوّلت الأيام التي لم تتطرق خلالها للحديث عن ذلك الموضوع إلى أسابيع، وتحولت الأسابيع إلى أشهر. وأخيراً، أدركت لوميكي أنه لا توجد أية طريقة عفوية لطرح ذلك الموضوع بعد كل ذلك الوقت. كما أن دفقة الحنان التي أسبغها والداها عليها بدأت تخبو؛ وهكذا عاد ثلاثتهم كل إلى دوره القديم والمعتاد. إذ كانوا يتحدثون حول أمور عامة، ويتواصلون مع بعضهم قدر الحاجة الطبيعية، كما كانوا يحاولون تجنب حالات الصمت المحرجة؛ كتلك الفترات التي من المحتمل أن تظهر خلال فترة الغداء يوم السبت، كما حدث في ذلك اليوم.

حيث سألتها والدتها لتكسر حاجز الصمت الذي خيم فجأة: «هل ترغبين بالمزيد؟».

فردت لوميكي: «كلّا، أشكرك. ولكن، هل بإمكاني أن أشاهد

بعض الصور القديمة؟».

عندها، قال أبوها: «مرة أخرى! ليس لدينا سوى تلك الصور التي سبق لك أن شاهدتها».

فشرحت له لوميكي السبب بقولها: «أجل، لكنني أعتقد أنه بإمكاني أن أوظّفها في مشروع أعمل عليه حالياً في المدرسة».

صاحت والدتها وقد بدأت بإفراغ الأطباق بسرعة: «سأقوم بإعداد القهوة».

جلست لوميكي على أريكة غرفة الجلوس حاملة «ألبوم» الصور، وبدأت تقلب صفحاته ببطء. كانت قد حفظت كل ما فيه من صور عن ظهر قلب، لأنها شاهدتها مرات كثيرة، لا سيما في ذلك الخريف، غير أنها كانت تحاول أن تجد حلاً لتلك الصور، أو أن تجد مفتاحاً لذلك اللغز.

كان «الألبوم» يشتمل على صورة زفاف والديها، وبعض الصور المأخوذة في كوخ بأولاند، بالإضافة إلى صورتين غير واضحتين لبيتهم في مدينة توركو الذي عاشوا فيه إلى أن بلغت لوميكي الرابعة من عمرها. كانت ذكريات لوميكي باهتة حول ذلك البيت؛ إذ كان عبارة عن بيت خشبي شاعري مؤلف من طابقين في منطقة ميناء آرثر، وكان يختلف تمام الاختلاف عن هذا البيت المؤلف من طابق واحد في ريهيماكي. بدا أمراً غريباً أنهم انتقلوا إلى بيت أرخص ثمناً، إذ كان بإمكانهم أن يشتروا بيتاً جديداً وكبيراً في هذه المدينة بثمن بيتهم في توركو. ولكن، يبدو أن والديها كانا يعانيان من مشاكل مالية لم يطلعا لوميكي عليها من قبل أيضاً.

سألت لوميكي: «لماذا انتقلنا من توركو؟».

فرفع أبوها رأسه عن الجريدة، وقطب جبينه ثم قال:

«بسبب العمل».

بدا ذلك التفسير غريباً بالنسبة لها؛ إذ كان والدها يعمل دوماً على الطرقات، ومعظم رحلاته كانت تنقله إلى هيلسنكي. ثم إن الوظائف في المكتبات لا بد أن تكون أيسر، ولا بد أن يجدها المرء بسهولة في مدينة كبيرة كتوركو مقارنة بهذه المدينة الجبلية الصغيرة التي تدعى ريهيماكي؛ هذا بالنسبة لعمل والدتها. ومع ذلك، لم تلحّ لوميكي في الاستفسار عن ذلك الموضوع.

لكنها ظلت تتساءل عن سبب وجود عدد ضئيل من الصور. إذ كانت هنالك صورتان فقط لها خلال كل سنة من سنوات حياتها الأولى، ومعظم تلك الصور لم تكن واضحة. لم تكن لوميكي تريد أن ترى مئات الصور لها وهي رضيعة كتلك التي يحتفظ بها الناس في هذه الأيام، وذلك بدءاً منذ لحظة الولادة، غير أنها استغربت وجود عدد قليل من الصور لها ضمن ذلك «الألبوم». كانت لوميكي قد شاهدت «ألبومات» صور في بيوت الآخرين، وكانت أكثر سماكة من «ألبوم» والديها بكثير، ثم إن البعض كان لديه أكثر من «ألبوم» عائلي واحد. ولكن، لعل والديها لا يهتمان بالصور، أو لعلهما لم يكونا مهتمين بالتقاط صور للوميكي.

أطالت لوميكي النظر والتحديق إلى إحدى الصور دوناً عن الأخرى؛ كانت في السابعة من عمرها في تلك الصورة، وكانت تقف وسط باحة المدرسة. كانت الصورة قد التقطت في فصل الشتاء، وما

زالت تتذكر كيف أعربت والدتها عن رغبة مفاجئة بالتقاط صورة لها بعد أن خرجت من المدرسة.

فقد قالت لها أمها يومها: «هيا، ابتسمي!».

كانت لوميكي في تلك الصورة تنظر إلى الكاميرا بكل جدية، دون أن تفتر شفتاها عن أي ابتسامة طفيفة. إذ لم يكن هنالك أي داعٍ للابتسام في ذلك المكان؛ حيث كانت مرحلة تسلط زملائها قد بدأت خلال ذلك الشتاء، لذا كانت لوميكي تكره كل يوم يتعين عليها فيه أن تذهب إلى المدرسة. والآن، أخذت تنظر إلى تلك الصورة، ورأت الرعب الكبير الذي كان يختفي خلف نظرتها المتحدية.

لم تكن لوميكي ترغب بأن تنظر إلى تلك الصورة مرة أخرى، لكنها كانت تعرف أنها قد رأت ذلك المشهد كثيراً في المرآة، بل حتى خلال تلك الفترة.

أغلقت لوميكي «ألبوم» الصور؛ إذ لم يكن بوسعها أن تصل من خلاله إلى أي شيء في ذلك اليوم، ولم يكن بوسعه أن يكشف لها عمّا غاب عنها من أسرار الماضي.

وبعد تناول القهوة، سألتها أمها: «هل ستبقين لتنعمي بحمام بخاري الليلة؟».

فكان سؤالها أشبه بمجاملة أكثر من كونه دعوة حقيقية للقيام بذلك. بل كان أشبه بالسؤال الذي يُفترض أن يطرحه شخص غريب.

ردت لوميكي: «كلّا، فلدي بعض الأعمال الخاصة بالمدرسة».

فجاء ردها مطابقاً للتوقعات.

وأثناء سيرها نحو محطة القطار، مرت لوميكي بمدرستها

المتوسطة القديمة، إلا أن مجرد رؤيتها للبناء والباحة كانت تشعرها بمرارة في حلقها على الدوام؛ إذ كانت السنوات التي قضتها في تلك المدرسة أسوأ سنوات حياتها، لأنها تعرضت خلالها للعنف والإذلال، وكذلك للضرب والصراخ، إلى جانب العزلة. تذكرت لوميكي كل الأكاذيب التي جعلتها تذهب إلى المدرسة في غير وقتها، وتحضر الملابس الرياضية في وقت غير مناسب، وتقوم بوظيفة أخرى غير تلك المطلوبة منها. كانت تحاول أن تنتبه، وكانت تعتقد أنها سمعت ما قاله الأساتذة بأذنيها، إلا أنها كانت تنخدع بين الحين والآخر؛ إذ كان من السهل تزوير الرسائل، ودفع الأولاد الآخرين للتآمر مع غيرهم.

وبقدر ما كانت تشعر بالغثيان كلما تذكرت ذلك، كانت تراودها المشاعر ذاتها حينما تتذكر كيف ثارت أخيراً ضد من يضايقها من الطلاب، وعلى رأسهم آنا-صوفيا وفانيسا، وكيف هاجمتهما بوحشية.

وخاصة حينما تتذكر ذلك الحنق، وكيف أنها فقدت سيطرتها على نفسها، وكذلك رغبتها في قتلهما.

بعد ذلك، لم تعد لوميكي تتذكر ما إذا كانت خائفة ممن كانوا يضايقونها أكثر مما كانت خائفة من نفسها. فمن بين كل الأمور، كانت تتذكر أنه كان بوسعها حينها أن تجهز على شخص آخر، وكيف كانت مشاعرها إزاء تلك الرغبة؛ وذلك فقط لتضع حداً للمأساة التي كانت تعيشها لم تكن لوميكي تشعر بالزهو والفخر بتلك المشاعر، ولكنها أيضاً لم تحاول إنكار مراودة تلك المشاعر لها. وكان ذلك هو السبب الذي دفعها للمحاولة بكل ما بوسعها لتتدرب على المحافظة على

هدوئها وضبط نفسها. كما أنها لم تكن تسعى للتفوق على الآخرين أو السيطرة عليهم، بل إن كل ما كانت ترغب به هو ألا تقوم بأي تصرف في لحظة غضب.

لقد حاولت لوميكي على الأقل أن تتسلم زمام نفسها، غير أن الانصياع لأوامر نفسها لم يكن دوماً بالأمر السهل.

كانت ذكرياتها المشرقة عن مدينة ريهيماكي قليلة جداً، كما أنها حدثت خلال فترات متباعدة. ومن بين تلك الذكريات ذكرى عن مسرح ريهيماكي، حيث شاهدت هناك مسرحية حينما كانت في التاسعة من عمرها، ولكنها لم تعد تتذكر مضمون تلك المسرحية، إلا أن ذلك لم يكن مهماً. أحبت لوميكي يومها رائحة المدرج، والأصوات الخافتة التي حلت محل دوي الكلام بين الجمهور، كما أحبت تلك اللحظة التي خفتت فيها الأنوار قبل أن يبدأ العرض، وكذلك الإحساس بالتوتر والترقب حينما كان كل شيء ممكناً.

كانت لوميكي قد جلست في ذلك اليوم في الصف الأمامي؛ مما أجبرها على إمالة رأسها للخلف لتشاهد المسرحية بشكل جيد. كانت في ذلك اليوم قريبة من الممثلين، وهكذا تمكنت من مشاهدة أبسط التعابير التي بدت على وجوههم.

تذكرت لوميكي إحدى الممثلات التي كان شعرها أسود، والتي أخذت ترقص وتقفز وتجري بخفة وحيوية، وحافة تنورتها التي كانت بلون أخضر زبرجدي تتماوج كمياه البحر. تذكرت لوميكي كيف قفزت تلك الممثلة نحو حافة خشبة المسرح مباشرة، غير أنها لمحت رباطاً داعماً للركبة تحت تنورتها. وبعد رؤيتها ذلك الرباط،

بدأت لوميكي تراقب التعابير التي ارتسمت على وجه تلك الممثلة بدقة، وتذكر أنها لاحظت يومها خلف ابتسامة النصر التي ارتسمت على شفتيها، وخلف ضحكتها المجلجلة وكلماتها المتدفقة مسحة من الألم. ومع كل وثبة وخطوة قامت بها الممثلة أثناء رقصها، كان يظهر على وجهها ظل باهت للغاية، لكن ذلك الظل لم يظهر على وجه أي شخص آخر؛ لأنه كان أشبه بغشاوة في عينيها كانت تبقى لأقل من جزء من الثانية.

كانت لوميكي تراقب الممثلة وقد أسرتها بأدائها، ولهذا لم تتابع بقية المسرحية، كما أن الحبكة لم تشدها. أخذت لوميكي تحدق إلى الظلال المتغيرة التي كانت تغشى عينَي الممثلة الرماديتين، وتفكر في أنه من الممكن أن يقوم المرء بدور لا يمكن لأحد أن يكتشف حقيقته؛ أي أنه بوسع المرء أن يخفي ألمه.

وهكذا، أصبح الرقص بكل بهجة والضحك الذي ملأ أركان خشبة المسرح كزهر التفاح مجرد رمزين للقوة والطاقة الخفية بالنسبة للوميكي، فأخذت تفكر في أنها يمكنها أن تصبح مثل تلك الممثلة في يوم من الأيام. إذ بوسعها أن تختار دورها، وبعد ذلك يمكنها أن تخطو فوق خشبة المسرح أو تجلس مع الجمهور. أجل، كان بوسع لوميكي أن تتحول إلى أي فرد من بينهم.

ومن نافذتها في القطار، وجدت لوميكي أن المساء في شهر كانون الأول بدا أكثر ظلمة من المعتاد، بل كان قد خيّم بسرعة. كان اللون الرمادي يصبغ ذلك المساء، فكان أشبه بالأمسيات الرمادية التي تدوم طيلة شهر تشرين الأول وتشرين الثاني وبداية كانون الأول.

في ذلك اليوم، لم تكن الأمطار تصاحب الثلوج، بل كانت الأمطار خفيفة ولطيفة، وكانت الأرض سوداء، وكذلك أغصان الأشجار العارية. رأت لوميكي صورتها المنعكسة على زجاج النافذة، فبدت لها عيناها سوداوين.

وبعدما أمضت لوميكي ربع ساعة خارج تامبيري، أحست برغبة شديدة بالذهاب إلى الحمام، ولهذا قررت أن تستعمل المرحاض الموجود في القطار بدل أن تنتظر حتى عودتها إلى البيت. ولكنها حينما عادت إلى مكانها وجدت ورقة مطوية موضوعة فوق مقعدها. التفتت لوميكي حولها، غير أنها لم تجد أحداً في تلك المقطورة. وفي تلك اللحظة بالذات، توقف القطار عند إحدى محطات ضواحي تامبيري.

عندها، فتحت لوميكي الورقة بيدين مرتجفتين، وقرأت فيها:

حبيبتي لوميكي،

أعرف أنك لم تشعري بالارتياح حينما مررتِ بذلك البناء، لأنني أعرف كم قاسيتِ هناك، وذلك ما يجعلني أستشيط غضباً من أجلك. لكن، بوسعي أن أعذبهما إن أردتِ، وبإمكاني أن أطلي الجدران بالدم إن رغبتِ، ويمكنني أن أنهي ما بدأتِ به؛ ألا وهو الثأر والانتقام. وكل ما أنتظره هو مجرد كلمة واحدة منك كي أقوم بذلك.

إنني أعرف اسميهما وهما آنا-صوفيا وفانيسا، وأرجو ألا تفكري بأنني لست جاداً في ما أقوله. وبما أننا قد تطرقنا إلى موضوع الأسماء، أريد أن أقول لك إنني أعرف اسميك الآخرين أيضاً،

فأنت لوميكي، وبيضاء الثلج، ولكن ألا تتذكرين أحداً يحمل اسم روزا... الوردة البرية أيضاً؟

تذكري، لأنك ستصلين إلى اسمها، فأنت لم تنسيه، حتى إن نسيتِ كل شيء آخر.

سأظل ألاحقك على الدوام

ظلك

في تلك اللحظة، أحست لوميكي بمرارة في حلقها؛ إذ لم يعد من ترك لها تلك الرسالة موجوداً في القطار كائناً من كان، فلا بد أنه قد ترجّل منه عندما توقف في المحطة الأخيرة، وقد اختار ذلك الشخص الذي يطاردها الوقت المناسب ليترك لها رسالته.

أخذت تفكر في أن من كتب لها تلك الرسالة كان قد تبعها إلى ريهيماكي، وأخذ يراقبها ليعرف متى ستعود، كما انتظر ليرى إن أصيبت بالغثيان ولذلك ذهبت إلى الحمام؛ فقط ليتمكن من ترك تلك الرسالة المجهولة لها.

ممّا يعني أن الرسالة لم تكن مجرد دعابة ثقيلة.

ولكن، لا يمكن لأي شخص أن يكون قد اطلع على الأمور التي كُتبت في تلك الرسالة، وذلك لأن لوميكي لم تخبر بها أحداً، ومن بين تلك الأمور اسما الفتاتين اللتين عذبتاها.

لم يكن بوسع لوميكي أن تبقي هاتفها بين يديها لفترة طويلة، وذلك لأنهما كانتا ترتجفان بشدة.

ولكن، لحسن الحظ رد عليها سامبسا على الفور.

فسألته لوميكي وهي تحاول أن تجعل نبرة صوتها ثابتة وهادئة:

«أيمكنني أن أراك اليوم؟».

فردّ عليها: «كلا».

عندها، ابتلعت لوميكي لعابها وسألته:

«ولمَ لا؟».

فأجاب: «عليّ أن أتدرب مع الفرقة الليلة، كما عليّ أن أنهي أحد المشاريع الهامة؛ ألا وهو شراء هدية الكريسمس لك». ثم تابع وهو يضحك: «لذا، عليك أن تنتظري حتى الغد يا عزيزتي».

ردت: «حسناً».

ودّت لوميكي لو تطول تلك المحادثة لتحتفظ بالدفء المريح الذي يشعرها به صوت سامبسا، ولكنها لم تجرؤ على النطق بأي شيء يمكنه أن يكشف له أنها لم تكن بخير على الإطلاق. لذا، تحدثت معه حديثاً عابراً، وأخبرته عن مشاريع العطلة التي خطط لها والداها، كما حدثته عن فكرة إعادة ترتيب ديكور البيت، فكان ذلك الحديث القصير من النوع الذي لم تكن لوميكي تتطرق إليه عادة. إلا أن سامبسا كان في عجلة من أمره، لذا سرعان ما جلست لوميكي وهاتفها الذي أصبح صامتاً مجدداً في يدها، وأخذت تحدق إلى صورتها المنعكسة في المرآة.

وعندها، رأت في عينيها الخوف المتحدي ذاته الذي رأته في عينيها حينما كانت في السابعة من عمرها.

6

كان على كل ضربة وركلة أن تجهِز على الخصم بطريقة تحدّ من كفاءته القتالية إلى حد كبير. لذا، لم تكن للهجمات الضعيفة أية فائدة؛ لأنها كانت تستنفذ الطاقة دون أن تمكّن من القضاء على العدو.

أخذت لوميكي تعصر أصابعها محولة يدها إلى قبضة. يسار، يسار، يمين. يسار، يسار، يمين، وتذكري أن تسدي الطريق، مع مواصلة الحركة.

يبدأ الدم بالتدفق من الأنف عندما يتلقى الخصم ضربة باليد، وينكسر عظم الخد تحت وطأة ركلة عنيفة، وهكذا تترنح ساقا الخصم، ثم يسقط ويصبح تحت رحمتك.

وفجأة، لم تعد لوميكي تقوى على المتابعة، ولم يعد بوسعها تحريك قدميها، بينما واصل الآخرون حولها حركاتهم تماشياً مع الموسيقى الصاخبة، وهم يتابعون أوامر المدرب الذي يصيح بها. إلا أن لوميكي لم تتمكن من توجيه ضربة واحدة لعدوها الوهمي، إذ كانت تلك بالطبع مجرد تمارين رياضية، وكانت مجرد حصة للتدريب الجماعي يتخللها تقليد للفنون القتالية، إلا أن الصور الذهنية كانت غزيرة في تلك اللحظة.

كانت لوميكي ترى أمام عينيها كلاً من آنا-صوفيا وفانيسا وهما

ممددتان فوق الثلج، بعدما تلقت كل منهما ضربة على صدرها. كلا، لم يحدث ذلك في الواقع، لكنها ظلت تتخيلهما على تلك الشاكلة. ولكن، هل كان ظلها على حق؟ أما زالت ترغب بالانتقام من تينك الفتاتين؟

كانت لوميكي تعتقد أن ارتيادها جلسات القتال لا بد أن يصرف ذهنها عن التفكير بتلك الأمور، إلا أن ذلك لم يحدث. كانت الموسيقى تزلزل أركان النادي الرياضي، كما أن رائحة العرق تفوح فيه، وقد بدأ البعض ينظر إلى لوميكي بضيق؛ وذلك لأنها كانت تقف في وسط القاعة في النادي الرياضي وتضع ذراعيها فوق ركبتيها، فبدت أعينهم وكأنها كانت تقول لها: أفسحي الطريق!

وحالما أحست لوميكي أن ساقيها أصبحتا قادرتين على حملها، بدأت تشق طريقها خارج القاعة، غير أنها لم تزعج نفسها حتى بالاعتذار من الفتيات اللواتي اصطدمت بهن، واللواتي كن يضربن بأيديهن الهواء ويركلنه بأرجلهن بكل حماسة. وبعد وصولها إلى غرفة تبديل الملابس، توجهت لوميكي مباشرة إلى المرحاض. وما إن أقفلت الباب على نفسها ورفعت غطاء المرحاض حتى بدأ القيء يتدفق من فمها، فتمسكت بطرفي حوض المرحاض بينما كانت قطع اللازانيا بجبن الماعز تندفع من فمها، وأخذ جسمها يرتجف بالكامل. لم تستطع أن تتذكر آخر مرة تقيأت فيها، لأن تلك المرة كانت مرعبة كغيرها من المرات.

وفي الحمام، بقيت لوميكي وحدها، وكان بوسعها أن تسمع الصوت في الخارج، واكتشفت أن ارتيادها هذه الدروس القتالية كان

فكرة خاطئة؛ إذ كان عليها أن تبحث عن طريقة أخرى لتتخلص من تلك الأفكار. وقفت لوميكي تحت المياه الدافئة لفترة طويلة بعدما غسلت الشامبو والصابون عن شعرها وبشرتها. كانت رطوبة الماء أشبه بالمداعبة، بل كانت مثل عناق يمكنها أن تلجأ إليه في لحظة خاطفة.

* * *

منحتك قلبي في الكريسمس الأخير،
لكنك تخليت عنه في اليوم التالي
ولأوفر دموعي هذه السنة
سأمنح قلبي لشخص مميز

حاولت لوميكي أن تحدد مواقع الأشخاص الذين كانوا يتحدثون في المتجر المقسم إلى أقسام؛ إذ اعتقدت أنه يكفي أن ترمقهم بنظرة حادة، وعندها لا بد أن تنتهي أسوأ أغنية للكريسمس في تاريخ الفن الهابط بمجرد أن يحتدم الصراح بين المتكلمين. لقد أطلق وام أغنية: «الكريسمس الأخير» عام 1984. ولكن، ألم يحن الوقت للتسلل إلى مقبرة أغاني البوب ودفن تلك الأغاني فيها؟

غير أنه من الواضح أن أصحاب المتاجر المؤلفة من أقسام يفكرون بطريقة مختلفة. إذ لعل أحد الأشخاص في مكان ما قد أجرى دراسة، واكتشف أن أغنية: «الكريسمس الأخير» قد زادت من نسبة المبيعات؛ ففيها تلك المرارة وذلك الألم الذي يعاني منه القلب المجروح، إلى جانب الرغبة بالانتقام، وفكرة أنني سأقدم هداياي في هذا الكريسمس لشخص مميز يعرف كيف يقدر قيمتها. ولذلك

سأشتري أجمل هدية وأغلى هدية لأبرهن عن حبي عبر كم المال الذي سأدفعه، حيث لا يستطيع أحد أن يشك في صدق مشاعري. ولكن في الوقت ذاته، ثمة حالة من الأسى المحبّذ، وذلك لأن المطرب يدرك أن قلبه المجروح لا يزال ينبض بحب الشخص الذي حطمه:

والآن أدركت كم كنت أحمق
ولكن، إن قبلتني الآن
أعرف أنني سأعود إلى حماقتي مجدداً

كانت لوميكي تكره هذه الأغنية، وتكره حالة الازدحام والفوضى التي تعم الأسواق قبل الكريسمس. أجل، كانت تكره ذلك البريق الحقيقي والوهمي في الوقت نفسه الذي يحيط بكل شيء، ومحاكاة الثلج التي كانت تجعله أقرب إلى الجليد. كان الكريسمس الذي تحتفل به المتاجر المؤلفة من أقسام يشبه ما نراه في المسلسلات الكوميدية الرومانسية الأمريكية؛ حيث تستمر لحظة الحب المتقد والاجتماع بالآخرين لفترة طويلة؛ لعدة أيام خلال الشتاء، ويكون فيها كل شيء على ما يرام طالما بقي «الديكور» على حاله. إذ ثمة نار في الموقد، إلى جانب نبات العليق والبريق اللامع، والثلج الاصطناعي، مع كومة كبيرة من الهدايا التي تم اختيارها بعناية، وكذلك عشاء للاحتفال بالكريسمس، وجوارب مخططة، والشوكولا المعدة في البيت، وأغنية الكريسمس، ورائحة القرفة والزنجبيل، وكل الأمور التي تكون محضرة بأفضل طريقة، لدرجة تمنعك من النطق بأي حرف.

كان ذلك حلم الكريسمس الذي تبيعه المتاجر المؤلفة من أقسام، ولم يكن متجر تامبيري ستوكمان ليشذ عن تلك القاعدة.

كانت لوميكي تكره شراء هدايا الكريسمس، لأن ذلك لا يبدو حقيقياً أو صادقاً؛ وكانت تفضّل أن يقدم المرء الهدايا حينما يحس بالحاجة لذلك. لذا، لم يكن يعنيها التاريخ بأي شيء. وهكذا، كان شراء الهدايا في هذه المناسبة برأيها مجرد طقس من الطقوس التي يتعين على المرء القيام بها؛ لأن ذلك ينسجم مع توقعات الآخرين. كانت لوميكي تعرف أنه ليس بمقدورها شراء هدية لسامبسا، ولكنها كانت تعرف أيضاً مدى الألم الذي ستحس به حالما تحصل على هدية جميلة ومناسبة لها، في الوقت الذي ستقدِّم له فيه هدية لا معنى لها ولا تخصه لأنها ستشتريها في لحظة خوف؛ وذلك لأن لوميكي لاحظت قبل ذلك أن سامبسا يحب أن يقدم الهدايا، إذ دفعته مشاعره الصادقة لكي يقدّم لها مجموعة من الهدايا، وعلى رأسها عقد فريد؛ وهو عبارة عن سلسلة فضية بسيطة علق بها حجر أسود صغير، بالإضافة إلى أفضل دفتر في العالم، وزوج من القفازات بلا أصابع كانت لوميكي ترتديهما في البيت دوماً حينما تضرب الرياح العاصفة شقوق نافذتها.

كان سامبسا يغدق عليها الهدايا بكل لطف وهدوء، ومن دون أن يثير أي صخب حول ذلك الموضوع. كان يمنحها الهدية بأفضل طريقة يمكن أن تمنح بها الهدايا، أي من دون أي توقعات- مهما صغرت- بالحصول على أي شيء مقابل ذلك. وكان يعرف كيف يقوم بذلك بطريقة لا تُشعر الطرف الآخر بأنه مدين له بأي شيء، أو

بأدنى إحساس بالذنب. وكانت لوميكي تحترم ذلك كثيراً، ولكنها في الوقت نفسه كانت تعرف أنه ليس بإمكانها ألا تقدم له هدية بمناسبة الكريسمس.

لذا، كان من الضروري في ذلك الحين أن تحيط نفسها بكل تلك الأنوار الساطعة والأغاني المرحة بشكل مضنٍ، لكي تساعد نفسها على التخلص من التفكير برسائل الشخص الذي كان يلاحقها. لكنها لم تكن تدري ما الذي يجب عليها فعله حيال تلك الرسائل. ولأنها لم تستطع تحمل حالة الشك تلك، حاولت أن تنسى الأمر برمته، لبرهة قصيرة على الأقل. ولعل لا وعيها كان يعمل على إيجاد حل لتلك المعضلة.

وفجأة، سمعت صوتاً خلفها يسألها: «ماذا عن كل ذلك القرف من النوع الرخيص؟».

عندها، التفتت لوميكي إلى الوراء لتجد خلفها تينكا وأليكسي؛ إذ كان من الغريب أنهما خرجا معاً يوم السبت بعيداً عن المدرسة، وذلك لأن لوميكي كانت تعتقد أنهما لا يتفقان مع بعضهما.

سأل أليكسي: «مَن المجنون الذي سيشتري شيئاً كهذا؟». وكان يشير إلى ما يجب أن يكون زينة للطاولة، وقد كتبت عليها كلمة «أحبك» بلون أحمر أخذ يضيء ثم يختفي.

فردّت عليه تينكا ضاحكة: «تخيّل أنك تسير في منتصف الليل لتفتح الباب الذي كان جرسه يرن، ولتجد شيئاً كهذا بانتظارك في الخارج. لو حدث هذا معي لمتّ رعباً».

فارتعدت لوميكي ثم قالت:

«بدأت أفكر في أن هذا المكان ليس المكان الأنسب للتسوق».

وحاولت أن تحافظ على نبرة مبتهجة في صوتها.

فسألتها تينكا بسرعة: «أتبحثين عن هدية لسامبسا؟».

فهزت لوميكي رأسها.

ردت عليها تينكا: «يا له من فتى محظوظ! أنا متأكدة من أنك ستجدين له هدية مناسبة».

عندها، اعتقدت لوميكي أن ثمة مسحة من كآبة غريبة شابت ابتسامة تينكا، ولكن لم يكن لديها الوقت الكافي للبدء بتحليل ذلك في تلك اللحظة، كما لم تكن لتهتم بذلك حينها.

هتفت لوميكي: «استمتعا بالتسوق». ثم انسحبت قبل أن يقترح أحدهما عليها أن يتسوقوا معاً.

غادرت لوميكي قسم ستوكمان للكريسمس، ونزلت السلم لتصل إلى الطابق السفلي، علها تجد هدية لحبيبها في قسم الكتب؛ إذ كانت قد شعرت بالإحباط لأنها لم تجد أي شيء يناسب سامبسا برأيها. ولكن، هل هي لا تعرف سوى القليل عن حبيبها؟ لم تكن لوميكي ترغب بالاعتقاد أن ذلك سبب المشكلة، بل أرادت التفكير في أن الضغوطات المتمثلة بالشراء والشراء ثم الشراء على الدوام جعلتها مشوشة تماماً، وجعلت كل شيء يبدو تافهاً وبلا معنى بالنسبة لها.

أخذت يد لوميكي تمسح أغلفة الكتب وهي شاردة الذهن؛ إذ لم تشعر بأن أياً منها كان يهمس باسم سامبسا.

«يجب أن نكف عن الاجتماع ببعضنا بهذه الطريقة».

انتصب الوبر الموجود على ذراعَي لوميكي حال سماعها تلك العبارة؛ إذ كان بليز يقف إلى جانبها، وقد تابع قائلاً:

«لقد تكرر ذلك مرتين خلال يومين، لذا لا بد أن يكون القدر، ولعله بوسعي الآن أن أغريك بتناول فنجان من القهوة، فما رأيك؟».

نظرت لوميكي إلى عيني بليز اللتين كانتا تضحكان، فأحست بأنها أومأت له بالإيجاب قبل أن يتسنى لها الوقت للتفكير بالجواب.

7

بعد مرور ساعتين وتناول أربعة فناجين كبيرة من القهوة، تساءلت لوميكي عن كيفية مرور السنة الماضية؛ إذ أحست أنها وبليز قد وصلا ما انقطع من حيث تركاه، أو لعلهما لم يفعلا ذلك بالضبط، أي دون الوصول إلى اللحظات الأخيرة المحزنة لانفصالهما، بل قبل ذلك بعض الشيء؛ حينما كانت الكلمات بينهما تنساب بشكل عفوي وطبيعي. فها هما الآن يجلسان إلى طاولة مطبخ لوميكي مجدداً كما كانا في السابق، حيث أخذا يحتسيان القهوة ويتحدثان.

قال بليز: «مع كل يوم يمر أشعر بأنني أكثر سعادة وكمالاً». وتمكّنت لوميكي من خلال نظرته المباشرة والصافية أن تكتشف أنه يصدقها القول في ذلك.

كان بليز قد أخبرها القليل عن تفاصيل عمليته، ولم تسأله لوميكي عن ذلك حينها، لأنها احترمت قراره بمشاركة ما كان يحس بأنه من الصائب الإفصاح عنه للآخرين، فذلك يتعلق بجسده وكيانه.

تابع بليز قائلاً: «لكنني كنت بحاجة إلى كل تلك الوحدة والعزلة؛ لأن ذلك ساعدني على مواصلة ما بدأت به، وهذا ما جعلني قوياً. أعرف أنني جرحتك كثيراً، وأود أن أعتذر لك عن ذلك».

كان هناك صدق واضح في كلمات بليز، إلا أن لوميكي بقيت

عاجزة عن الرد بالرغم من ذلك؛ لأنها لم تجد الكلمات المناسبة.

وعوضاً عن ذلك، حدّثته لوميكي عما جرى خلال فترة الشتاء والصيف الماضية، وعن الجرائم التي وجدت نفسها في خضمها، وعن الخطر والهروب، وكم كان الموت قريباً منها.

فقال لها بليز وهو يهز رأسه: «لقد قرأتُ عما حدث في براغ في الجريدة».

عندها، حاولت لوميكي أن تمزح فقالت: «يبدو أنه من عادتي أن أجد نفسي وسط المخاطر». لكنها لم تستطع أن ترسم ابتسامة على شفتيها.

ولهذا حاولت أن تخفي قلقها بسرعة، وذلك عبر تجرّع كمية كبيرة من القهوة التي أصبحت فاترة حينها. كان ذلك يحدث معهما دوماً؛ إذ كانا بالكاد يلاحظان أن قهوتهما أصبحت باردة، حيث يكون لديهما الكثير ليبوحا به.

إلا أن لوميكي لم تخبر بليز عن تذكّرها أن لديها أختاً، وبالطبع لم تذكر له أي شيء عن الرسائل التي كانت تضايقها؛ بالرغم من أنها كانت ترغب بأن تشاركه ذلك لتخفف من وطأة الأمر على نفسها.

وهكذا، لم تستطع لوميكي أن تخاطر بذلك؛ كي لا تدفع ذلك «الظل» إلى استغلال الفرصة وتنفيذ الصور الدموية التي رسمها في رسائله.

لاحظت لوميكي كيف أثرت كلماتها على بليز، كما لاحظت رغبته بحمايتها والتي كانت تلوح في عينيه. ورأت كيف مد يده عبر الطاولة نحوها، وكان على استعداد للإمساك بيدها.

وهذا ما جعلها تضيف بعجلة: «أوه، لقد أصبح لدي حبيب».

عندها، سحب بليز يده، وتناول فنجان قهوته، وأخذ يتصنع عدم المبالاة.

ثم قال وهو يبتسم ابتسامة بطرف فمه: «رائع».

وهنا سارعت لوميكي لتعدد جميع الخصال الحميدة التي يتحلى بها سامبسا، فأخذ بليز يصغي إليها بهدوء، فيما التعابير التي ارتسمت على وجهه تُبدي أنه لم يكن يعتبر ذلك الفتى عنصراً في غاية الأهمية في حياة لوميكي. وقد أشعر موقفه هذا لوميكي بالإهانة بعض الشيء؛ فهل كان يعتقد أنه بوسعه أن يتسلل إلى حياة لوميكي ويعود إليها بعد انسحابه بطريقة وقحة وذلك عندما اختفى لمدة سنة كاملة؟ وهل يظن أن لوميكي ستستقبله وستفتح له ذراعيها مرحبة وستنسى كل شيء؟

إن كان يظن ذلك فهذا الأمر لا بد أن يثير غيظها، وهو مخطئ بلا شك.

نهض بليز ليشرب كأساً من الماء، وحينما عاد إلى الطاولة، ضغط بيديه على كتفي لوميكي بدلاً من أن يجلس، ثم أخذ يدلكهما لها، وكأن ذلك أمر طبيعي وعفوي.

مكتبة

ثم قال: «أنت متوترة الأعصاب».

فلم يكن بوسع لوميكي سوى أن ترد عليه بتمتمة غير واضحة؛ إذ كانت تعرف أنه يتعين عليها أن تطلب من بليز أن يكف عن ذلك. ولكن عملياً لم يكن تدليك الكتفين أكثر من لمسة بريئة بين صديقين، ولكنهما ليسا صديقين، ليس بعد كل ما حصل. ثم إن الصداقة لم تكن كل ما يجمع بينهما، ولم يحن الوقت المناسب لها بعد، ولعله

قد لا يحين أبداً.

لم تطلب لوميكي من بليز أن يكف عن تدليك كتفيها وذلك لأنها شعرت بتحسن. كما أن أعصاب كتفيها كانت بغاية التوتر، ولم يسبق لها أن كانت كذلك. وهكذا، إن لمسة بليز الخبيرة والمألوفة بالنسبة لها جعلت أعصابها تسترخي، وأصبح بوسعها أن تحس بالدم وهو يتدفق ليحسّن من وضع عضلاتها التي كانت متشنجة، وليجعلها تسترخي. كانت يدا بليز دافئتين، أما الضغط بهما فكان يتم بكل نعومة ودقة؛ إذ لم يحاول أن يجبر عضلات كتفيها على الخضوع له، بل بدأ بتمسيد كتفيها بخفة، ثم أخذ يضغط عليهما أكثر فأكثر وبشكل تدريجي. وبعد ذلك، توقّف عند المواضع التي كانت متوترة أكثر من غيرها، وحاول أن يأخذ ما يكفي من الوقت ليمنحها الدفء تحت ضغط أنامله.

وهكذا، لم ينبس أحدهما ببنت شفة.

وكان الحل الوحيد يتمثل في الوقوف والقتال
وتعرض جسدي لكدمات، وكنت أحترق،
لكنك أتيت إلي كما تأتي الشعائر المقدسة
وبالرغم من أنني كنت أحترق، كنت أنت النور الوحيد
حتى لو استمر ذلك لليلة واحدة

كانت أغنية فلورنس ذا ماشين تصدح، غير أن لوميكي ندمت على اختيارها هذا النوع من الموسيقى، إلا أنها لم تندم كثيراً. إذ كانت تعرف ما الذي تفعله حينما تقوم بتشغيل أغاني فلورنس، كما كانت تعرف ذلك المزاج الذي توجده أغانيها.

دفعت لمسات بليز لوميكي لتعيش حالة جميلة أشبه بالحلم. إذ كان بوسعها أن تنسى كل شيء آخر في تلك اللحظات؛ كل خوفها وقلقها، ولم يعد يتوجب عليها أن تفكر بأي شيء. وهكذا، أخذت حالة الاسترخاء الكسولة إلى جانب إحساسها بالدفء تنتشر من كتفيها إلى الأسفل.

لم تعرف لوميكي كم مضى من الوقت حينما أدركت أن حركة التدليك قد تغيرت. إذ كانت قد تحوّلت حينها إلى مداعبة، حيث أخذ بليز يمسد رقبتها برفق، فكانت كل لمسة من يده تتسبب في رعشات أخذت تنتقل إلى عمودها الفقري وإلى ما هو دونه. وتدريجياً، اختفت حالة الاسترخاء لتحل محلها نار أخذت تكويها من الداخل. أخذت يدا بليز تمسدان جوانب رقبتها وشحمتي أذنيها، ثم عادتا إلى رقبتها من الخلف، وهنا أحست لوميكي بأنفاس دافئة فوق جلدها.

ثم أصبح كل منهما بمواجهة الآخر، والتصق صدره بصدرها، وتسارعت أنفاسهما، وبدأت شفتا أحدهما تلمسان شفتَي الآخر.

ثم انتقلا إلى الحمام... وأصبح كل منهما في غابته الخاصة به، حيث لفّهما عطر الصنوبر، ثم اختفيا واختبآ بين الظلال، وتمسك كل منهما بالآخر، وضاع أحدهما في مجاهل الآخر. وبعدها، انتقلا إلى مكان بعيد بعيد، إلى الأعلى؛ بين الأغصان، وعند أضواء النجوم المتلألئة.

قطعت لوميكي حلم اليقظة الذي كانت تعيشه، وذلك عندما هزت كتفيها بسرعة مبعدة يدي بليز عنهما، ثم وقفت وابتعدت عنه قائلة:

«عليك أن تذهب الآن».

ثم أخذت تحدق متجاوزة بليز بنظراتها التي كانت كلها عزم وتصميم، ولكنها لم تستطع أن تغامر وتنظر إلى عيني بليز مباشرة، أو ربما لم يكن لديها ما يكفي من القوة لتطرده من بيتها في ذلك الحين.

لم يطرح عليها بليز أي سؤال، بل مضى بهدوء نحو الردهة، وأمسك بمعطفه، ولفه حوله في صمت ليدرأ به عن نفسه شر البرد في الخارج. غير أنه ما لبث أن استدار عند الباب وابتسم وهو يقول:

«سأراك مرة أخرى قريباً يا أميرتي. وأنت تعرفين- تماماً كما أعرف- أنه لا يمكننا أن نبتعد عن بعضنا لفترة طويلة».

ثم غادر من دون أن ينتظر أي جواب من لوميكي.

وقفت لوميكي وأخذت تحدق إلى الباب، لأنها كانت تعرف أن بليز محق في ما قاله.

لقد شاهدت مرات كثيرة كيف يمكن للبشر أن يكونوا متوحشين تجاه بعضهم بعضاً فعلاً، وبلا وعي منهم، لا سيما في المدرسة؛ حيث يكتشف الأطفال والمراهقون نقاط ضعف بعضهم بعضاً، فيضرب كل منهم الآخر بلا رحمة، ويصبحون كالحيوانات، وهكذا تتحول المدرسة إلى مكان للصيد أو إلى ساحة للقتال، حيث يصبح البقاء للأقوى.

وهذا ما دفعني لتنفيذ تهديداتي بالفعل، إذ إن الجميع كانوا يتفرجون على المسرحية؛ حيث جلس كل واحد على مقعده بصمت وسكينة.

ثم امتلأت خشبة المسرح بالصياح والدماء والجثث، وانتشر الذعر، وأقفلت الأبواب، ثم حان دور الجمهور. فلكل منهم وقته المحدد، ولا يمكن أن يفلت أحد من ذلك. وبوسعي أن أطلي المسرح بأكمله باللون الأحمر.

ما الحياة إلا ظل يمشي، وممثل ضعيف الأداء

يقوم باستعراض ملابسه، ويبكي حين تحين ساعته فوق خشبة المسرح ثم لا يسمع له حس بعد ذلك. أي إنها مجرد حكاية يرويها أحمق، وهي حكاية مفعمة بالصوت والغضب الذي يفتقد إلى أي دلالة.

بوسعهم أن يتعلموا أنه حتى أكثر الناس مكراً وأشدهم وحشية يمكن أن يقهروا.

وبوسعهم أن يتعلموا ذلك بطريقة صعبة؛ وذلك عبر قوانين الحياة والموت.

الأحد، 10 كانون الأول

8

أصبحت لوميكي تحس بالغيرة، وأدركت أن ذلك الإحساس لم يسبق له أن انتابها بكل تلك القوة، فقد كانت تود لو تتحول إلى فتاة أخرى قبل ذلك، إلى شخصية لا يتحتم عليها أن تخفي الرضوض التي أصيبت بها في البيت، وأن تمسح الدم النازف من شفتها السفلى، وأن تدعي أن قدمها قد زلت فوقعت على الأرض؛ غير أن ذلك لم يكن سوى رغبة يائسة للهروب من حياتها أكثر من كونه غيرة حقيقية.

كان والد سامبسا قد أتى وهو يحمل كمية كبيرة من الفطائر، ثم وضعها على الطاولة وقال:

«لن تنال هذه الفطائر أي جوائز أو استحسان من أحد».

فهتفت والدة سامبسا وهي تربت على ذراع زوجها: «حسناً، ما الذي تتوقعه بعدما أمضيت الوقت كله الذي كنت تطبخ فيه وعيناك على لعبة الآيباد التي ما فتئت تلعبها؟».

كانت سارة شقيقة سامبسا الصغيرة تهز كرسيها، ولكنها صاحت قائلة:

«سأتناول ست فطائر على الأقل».

سأل سامبسا: «كيف يقوم طائر البطريق بإعداد الفطائر؟».

فردت شقيقته: «مممم، كيف؟».

أخبرها: «بزعانفه!».

هتفت سارة حينما وصلها مغزى النكتة، وبدا ذلك على وجهها: «ماذا؟ أوه...» ثم بدأت تضحك ضحكة أضحكت الجميع.

فقال لها أخوها: «إليك واحدة أخرى: ما نوع الفطائر التي تحبها الديناصورات؟».

سألت سارة: «ما هي؟».

فرد عليها: «المغطاة بثلاث طبقات من عصير الفاكهة».

عندها، كادت سارة تسقط على الأرض من شدة الضحك.

فصاح سامبسا بكل اعتزاز: «إنني هنا طيلة الأسبوع يا قوم!».

عندها، هتفت والدة سامبسا مخاطبة الأب: «إنني أعزو خفة دمهما لك».

فهز والد سامبسا كتفيه وهو يبتسم بكل فخر.

أخذت لوميكي تتابع ذلك الحديث وهي في حيرة من أمرها.

إذ لم تكن معتادة على أن تكون وسط أسرة مثل هذه الأسرة؛ حيث يمزح أفرادها ويضحكون معاً طيلة الوقت. وبدا لها أن أفراد أسرة سامبسا يتحدثون بلا انقطاع؛ إذ كانوا يتبادلون الكلمات كما يتبادلون الكرات التي يسقط بعضها على الأرض دون أن ينتبه لها أحد. وقد يبدو التواصل بينهم أشبه بحالة من الفوضى، ولكنه لم يكن كذلك على ما يبدو؛ إذ كان الجميع يشاركون في الحديث، حتى سارة التي لم تتجاوز الرابعة من عمرها.

كان ما يميّز بيت سامبسا هو ذلك القدر من الفوضى المفعمة بالحنان بطريقة ما. فحتى أكثر الأشخاص إنصافاً لا يمكنه أن يصف

البيت بالمرتب، وذلك لأن الأغراض كانت منتشرة في أرجاء المكان؛ فهنالك ألعاب منتشرة فوق الأرضية، وألبسة موضوعة فوق الكراسي، وأكوام من المجلات والكتب، وصناديق وعلب مفتوحة بشكل جزئي يمكن أن يقال عنها إنها إما وصلت للتو أو سيتم ترحيلها. أما بيت أهل لوميكي فلا يمكن أن يبدو بهذه الصورة أبداً.

كانت لوميكي تحسد أسرة سامبسا كثيراً لدرجة آلمت قلبها؛ فكل شيء كان يوحي بأن حياة أفراد هذه الأسرة تختصر بذلك. حيث كان كل فرد في هذه الأسرة يعتني بالآخر، كما أنهم يستمتعون بصحبة بعضهم بعضاً. فقد كانوا يمزحون، ويتصرفون بعفوية وتلقائية من دون اختلاق أي شيء؛ أي من دون التظاهر بأي شيء أو تصنع أي شيء، وحتى بوجود شخص غريب كلوميكي بينهم، حيث استقبلوها وكأنها قريبة لهم طال شوقهم لها، وكأنهم كانوا يتوقعون منها أن تشارك في كل ما كان يجري في بيتهم. لم تشعر لوميكي طيلة حياتها بحفاوة الاستقبال في أي مكان إلا حينما خطت عتبة باب بيت أهل سامبسا، إذ كانت تحس ببعد عائلة أبيها الممتدة ذات الأصول السويدية والفنلندية؛ حتى بالرغم من أنهم كانوا يغنون مع بعضهم أغاني مرحة ويحبون التحدث مع بعضهم. غير أن لوميكي كلما اجتمعت بهم كانت تحس بأنها الخروف الأسود الذي يتمنى الجميع لو أنه مختلف، ولو أنه يُبدي سعادة أكبر ويكون اجتماعياً أكثر.

وهكذا، كانت أسرة سامبسا تشبه شخصية سامبسا؛ إذ لم تكن تطلب أو تتوقع من أحد أي شيء.

أخذت لوميكي تراقب سامبسا بطرف عينيها وهو مسترخٍ ومبتسم

ابتسامة عريضة أثناء قيامه بوضع الفطائر في طبق شقيقته الصغيرة، فأحست أنها لا تستطيع أن تكون مثله مع أسرتها.

كان كل شيء في حياة سامبسا رائعاً؛ وكانت سعادته بادية عليه بكل وضوح، كما أنه يستحقها بجدارة؛ إذ كانت لديه مساحة كافية ليبدي مودة ودفئاً تجاه الآخرين، ولم تكن في عالمه أي أسرار قد أخفاها، أو أي رسائل تهديد، أو أي خوف من الموت. كما أنه يُفترض في عالمه ألا تسمح حبيبته لحبيبها السابق بتدليك رقبتها وهي تعلم علم اليقين أن لمسته لا بد أن تثير فيها تلك الرغبة المحرمة.

أخذت لوميكي تراقب النشاط الصاخب لأسرة سامبسا. وفجأة، أحست بوحدة مريرة؛ إذ أحست بأن خوفها، والمساحات المظلمة داخلها، وغضبها الذي كان يجري مجرى الدم منها، والظلال السوداء لغابتها، ومياهها الموحلة، وتوجهاتها الخفية والعميقة لا يمكنها أن تكون جزءاً من حياة هؤلاء الأشخاص، لا سيما وأنهم من النوع الذي يتمتع بالسعادة والإشراق واللهو واللعب والصخب والسلاسة بشكل كان يثير حفيظتها، إلى جانب الحب الذي يسود بينهم.

هتفت سارة وهي ترفع راحتين صبغتا باللون الأحمر: «لقد أصبحت راحتاي لزجتين!».

إذ كانت قد أكلت ثلاث فطائر في نهاية الأمر.

رد سامبسا: «حسناً، لقد أكلت كمية كبيرة من مربى الفراولة التي دهنت بها فطائرك، كما أنك تناولتها بيديك».

ثم انحنى ليمسح يدَي شقيقته بمنديل.

مربى فراولة لزجة... لون أحمر، لزج، حار، دم.

أخذت الصور تتعاقب في مخيلة لوميكي بسرعة كبيرة، لدرجة أن ملاحقتها لم تعد أمراً ممكناً. إذ رأت المربى تقطر على الأرضية، ثم رأت بركة من الدماء أخذت تتسع أكثر فأكثر، فهزت رأسها قليلاً، وأخذت تفكر: من أين تأتي هذه الصور؟

سألت سارة بنزق: «أيمكنني أن أذهب للعب الآن؟».

ردت أمها: «نعم».

فصاحت سارة وهي تشد يد لوميكي بيدها التي لا تزال لزجة بعض الشيء: «ستأتي معي لوميكي لنلعب معاً لعبة الأميرتين».

غير أن لوميكي جفلت من تلك اللمسة؛ إذ أحست بأن يد الصغيرة كانت يداً تغطيها الدماء، كما أحست أنها مهما حاولت أن تبعد عنها تلك اليد فلن تنجح في ذلك، ثم أحست بأن البرودة أخذت تتسلل إلى تلك اليد ببطء.

عند ذلك هتف والد سامبسا: «قد تكون لوميكي لا تزال راغبة بتناول الطعام، لذلك اطلبي منها ذلك بطريقة لطيفة».

ردت لوميكي بسرعة: «أجل، يمكنني أن آتي معك».

وذلك لأنها كانت تريد أن تصرف ذهنها عن تلك الصور الغريبة التي ما فتئت تظهر ثم تختفي أمام عينيها كوميض البرق أثناء الصاعقة.

وضعت سارة قبعة ذات شرائط مزينة على رأس لوميكي، وذلك قبل أن ترتدي ثوباً وردي اللون فوق ثيابها ثم تحرك عصاها السحرية، وهي تشرح بكل اعتزاز حاملة عصاها اللامعة:

«إنها عصا سحرية وسيف في آن معاً».

ردّت لوميكي: «إنها عصا مفيدة. وهكذا، إن جاءت الوحوش

فبإمكاننا أن نسحرها ونحولها إلى مخلوقات لطيفة، أو أن نبعدها عنا».

أحست لوميكي بأن تلك القبعة المزينة بالشرائط بدأت تضايقها عند رأسها، ولكنها تركتها في مكانها؛ إذ كان بوسعها أن تتحمل بعض المضايقات أثناء اللعبة.

صاحت سارة: «إن الوحوش صديقة لي. ولكن، إن ظهر الأمير الشرير فسأقطع رأسه، وبعد ذلك سأحوله إلى ضفدع صغير ولطيف».

عند ذلك ابتسمت لوميكي، إذ يبدو أن أفراد هذه الأسرة قد تعاقبوا على لعب أدوار القصص الخيالية التقليدية عدة مرات. ثم بدأت سارة ترقص بشكل جنوني مرتدية فستان الأميرة الوردي، وأصبحت أشبه بوردة برية صغيرة.

وفي تلك اللحظة، خطرت ببال لوميكي الرسالة الأخيرة التي وصلتها، فحاولت أن تستبعد تلك الفكرة، ولكنها لم تفلح في ذلك، بل أخذت كلمات تلك الرسالة تحتل بؤرة تفكيرها عنوة، وكانت تضربها كالأمواج التي تضرب الشاطئ، موجة إثر موجة، بل كانت تلك الكلمات أعلى وأعتى من تلك الأمواج؛ لأنها كانت تحطم المساحة البيضاء داخلها.

وردة برية، وردة... روزا...

أحست لوميكي برغبة في الجلوس أرضاً لأن ساقيها لم تعودا قادرتين على حملها؛ إذ لم يكن ذلك مجرد حلم أو خيال متخبط، بل كان واقعاً وذكرى.

وردة، روزا...

لقد كان اسم شقيقتها روزا.

الاثنين، 11 كانون الأول

9

حشرت لوميكي نفسها مقابل الجدار الحجري البارد لغرفة البرج، والتزمت الصمت ولم تأتِ بأية حركة على الإطلاق. في بداية الأمر تحولت إلى مجرد ظل، ثم أصبحت جزءاً من الجدار الحجري حينما انصهرت فيه. أصبحت لوميكي قطعة صلبة بعدما تجمّدت ساقاها وذراعاها، كما تحول قلبها إلى حجر، ثم أخذ تنفسها يضعف إلى أن اختفى، ولم يعد لها أي وجود.

كانت لوميكي تعرف أن باب غرفة البرج لا بد أن يُفتح، وأنه ليست أمامها سوى بضع ثوانٍ، لذا كان عليها أن تضرب على الفور. كانت تعتصر المشط الفضي بيدها، وتتلمس أسنانه الحادة بإصبعها، حيث إنها إن ضغطت بطرف إصبعها على أحد أسنان المشط؛ فلا بد أن يغوص في جلدها مخلفاً قطرات كبيرة من الدم. أحست بالارتياح والأمان بفضل الزخارف الجميلة الموجودة على ذلك المشط الذي كانت تحمله بيدها. إذ كانت تلك الزخارف تصوّر وردتين متعانقتين.

وردة برية، روزا؛ تلك التي ثقبت إصبعها بواسطة دولاب الغزل ونامت لقرن من الزمان. إنها شقيقة لوميكي التي نامت نومة أبدية. ولكن، لا يجب أن تفكر بهذا الأمر الآن.

كان عليها أن تركز على الباب حين يفتح، ويجب أن تكون كامل

حواسها وأفكارها مستعدة لتلك اللحظة.

سمعت لوميكي وقع خطوات تقترب، وكان بوسعها أن تحدد من خلال إيقاع تلك الخطوات أن الشخص القادم هو الشخص ذاته الذي كانت تنتظره. كانت تكرهه لدرجة جعلت من حنقها عليه يعميها ويسدل على عينيها غشاوة حمراء اللون. إذ كان ذلك الشخص هو الشخص الذي حبسها وظلمها، والذي قتل الشخص الوحيد الذي اعتقدت لوميكي أنه بوسعها أن تحبه. لقد كانت لوميكي تكرهه لدرجة جعلتها على استعداد لقتله.

توقفت الخطوات عند الباب، ثم دار المفتاح بشكل مزعج وببطء داخل القفل، فأخذت لوميكي تضغط على المشط بيدها. ولدى دخول الأمير، أصبح الباب المفتوح يخفي لوميكي وراءه. أخذ الأمير ينظر حوله داخل غرفة البرج الفارغة، وبدا بحيرة من أمره. عندها، ركلت لوميكي الباب بقدمها وأغلقته، ثم بدأت هجومها. وبطعنة واحدة عنيفة، جعلت أسنان المشط الحادة تغوص في رقبة الأمير، فسقط الأمير وهو يمسك بحنجرته.

دم أحمر وحار، إكسير الحياة الذي كان ينبض مع كل خفقة قلب لدى لفظ الأمير أنفاسه، حيث كانت كل قطرة دم تتسرب منه تقربه من الموت أكثر.

أخذ الأمير يتوسل إلى لوميكي وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: «النجدة!».

فردت عليه: «أبداً».

وقفت لوميكي وسط بحيرة الدم التي خلفها الأمير، وأخذت

تراقب الحياة حينما بدأت تختفي من وجهه، ولكنها لم تكن في عجلة من أمرها، بل كانت تستمتع بتلك اللحظة وهي تقول: مت يا معذبي. كنت تريد أن تهدهدني لأنام للأبد، ولتغلق علي غطاء التابوت الزجاجي وتقف قرب جثتي وأنا فيه. كنت تريد أن تنظر إليّ وكأنني مجرد زينة جميلة وخرساء، ولست كائناً حياً يتمتع بأفكار ومشاعر ورغبات، ومن الصعب السيطرة عليه، فكنتُ تلك الشخصية المستقلة التي تمثلني والتي لم تفعل ما أردته لها على الدوام.

«جميل، جميل. جيد جداً يا لوميكي، ثابري على ذلك!».

قفزت تينكا بكل حماسة على خشبة المسرح، ووضعت يدها على ذراع لوميكي فتراجعت هذه الأخيرة، حيث أدركت أنها كانت تتنفس بصعوبة، كما أن يديها كانتا ترتجفان، وكانت تحس بالدهشة نوعاً ما لأن الدماء كانت تغطيهما. فقد أحست بالدم الحار واللزج عليهما. أجل، لقد كان الدم لزجاً كمربى الفراولة. كانت لوميكي قد أبحرت في عالم آخر هذه المرة أيضاً؛ إذ اندمجت في دورها، وأحست أن كل ما كان يجري كان يحدث لها بالفعل.

سأل أليكسي وهو يفرك رقبته: «أيعقل أن تقف هي هناك وتراقبني وأنا أموت؟ ألا يجدر بها أن تهرب أو تقوم بشيء ما؟».

ردت تينكا: «ذلك هو الجزء الأخير المهم؛ ألا وهو انتقام بيضاء الثلج. إذ لا بد لها بالطبع أن تقف وتراقب الوضع لبضع ثوانٍ. كما يجب على الجمهور أن يصمت، ولا يُفترض أن يكون هذا الأمر واقعياً».

وهنا بدا على صوت تينكا الانزعاج مرة أخرى؛ كما يحدث في

أغلب الأحيان حينما تتحدث مع أليكسي.

رد أليكسي: «حسناً، حسناً. أنت المخرجة، وتلك رؤيتك».

ثم مال نحو لوميكي وقال:

«هل بوسعك أن تستخدمي المشط بشكل ألطف في المرة المقبلة؟ لقد خدشتني به بكل قسوة».

ثم أخذ يريها الآثار الحمراء التي خلفها المشط على رقبته.

فردت لوميكي: «أجل، آسفة».

إلا أن الشيء الذي لم تستطع لوميكي أن تعبّر عنه هو مدى دهشتها حينما رأت أن الدم الذي يتدفق من رقبة أليكسي لم يكن حقيقياً، كما لم تستطع أن تتذكر تلك اللحظة حينما أصبح بوسعها أن تكف عن مهاجمته.

صاحت تينكا وهي تصفق بيديها: «يكفي لهذه الليلة».

فبدأ كل شخص بجمع أغراضه، ثم أتى سامبسا نحو لوميكي، ولفّ ذراعه حولها وهمس في أذنها:

«سآتي معك اليوم إلى شقتك لأبيت عندك الليلة. وبوسعنا أن نلعب لعبة بيضاء الثلج والصياد».

فردت لوميكي متذمرة: «لقد مات الصياد. ولا أعتقد أن لدي الرغبة لأقوم بعلاقة حميمة مع جثة».

فقال لها: «ولكن التشجيع قد يكون له دور في تغيير رأيك».

وبعد أن راقبت تينكا همساتهما ضاقت عيناها بعض الشيء وهي تقول: «فلنذهب قبل أن يتعين علينا توفير غرفة لهذين».

وهنا ضحك أليكسي، إلا أن لوميكي لم تستطع أن تحدد

المقصود من خلال نبرة صوت تينكا؛ فلعل فيها شيئاً من الغيرة، ولكن هل فيها شيء آخر؟ شيء أكثر ظلمة؟ أو خدعة تخفيها تلك السخرية؟

وفي البهو الذي كانت المرايا تغطي جدرانه، كان منظر غريب بانتظارهم.

إذ كانت أوراق ورود حمراء قد بُعثرت فوق الأرضية هناك.

سألت تينكا من كان معها: «حسناً، من ذلك الشاب اللطيف؟».

فأخذ كل منهم ينظر إلى وجه الآخر ويرفع كتفيه دلالة على عدم معرفته الفاعل.

وصاح سامبسا: «من المفترض أن لا أحد هنا سوانا».

عند ذلك صرخت تينكا بصوت عالٍ: «مرحباً، من هناك؟».

هناك، هناك، هناك... أخذ صدى الصوت يتردد في الممرات الخاوية، من دون أن يجيب عليها أحد.

هتف أليكسي: «هذا غريب».

نظرت لوميكي إلى أوراق الورود، فملأت منخريها رائحتها القوية التي تسبب الغثيان؛ إذ كانت تعرف أنها المقصودة بالورود. فقد أراد الشخص الذي يتعقبها أن يذكرها بالوردة البرية، ويبدو أنه لم يعرف أنها قد تذكرت اسم أختها، وهذا ما أشعرها بشيء من الارتياح؛ حيث عرفت أنها تجاوزت من يلاحقها في مجال واحد على الأقل.

في قديم الزمان، كان هناك مفتاح وضع في صندوق صغير، وكانت هناك فتاتان تلهوان في كثير من الأحيان بذلك الصندوق؛ إذ كانتا تخفيان فيه كنوزهما من مجوهرات، وحلي، وأحجار، وأرياش للطيور، وأكواز الصنوبر، وأوراق خريفية جميلة، وقطع فلين، ورخام،

وغيرها من الأسرار التي كانتا تحتفظان بها.

كانتا أميرتين، وحينما كبرتا، صار بوسعهما الاعتماد على الكنوز الموجودة في ذلك الصندوق للسفر في جولة حول العالم.

ثم جاء اليوم الذي أفرغتا فيه محتويات ذلك الصندوق، واكتشفتا أن جميع كنوزهما الرائعة قد اختفت، وامتلأ الصندوق بأنواع أخرى من الكنوز والأسرار، ولكن لم يكن بمقدور أي كان أن يعتمد على تلك الكنوز للسفر في جولة حول العالم، كما لم يعد بوسع أي من الفتاتين أن تسافر إلى أي مكان بعد ذلك اليوم على الإطلاق.

في قديم الزمان، كان هنالك مفتاح بقي ينتظر طويلاً وبكل أناة.

في قديم الزمان، كان هنالك مفتاح رغب بفتح الصندوق مرة أخرى وكشف ما فيه من أسرار وخبايا.

في قديم الزمان، كان هناك مفتاح قام أحدهم بنقله من المكان القديم الذي أخفي فيه ليواصل الانتظار في مكان جديد، داخل شق بارد وسط صخرة.

الخميس، 12 كانون الأول،

في ساعة مبكرة من الصباح

10

نهضت لوميكي من نومها وهي تحس بحرارة في جسدها والقلق يساورها. ألقت نظرة على هاتفها ووجدت أن الساعة تشير إلى الثالثة وعشرين دقيقة من بعد منتصف الليل؛ وهو الوقت الذي يجب أن تكون فيه نائمة بعمق وبكل سعادة. كانت ذراع سامبسا تحيط بها، وكان الدفء الذي شعرت به ينبعث منه. كان ذلك الإحساس رائعاً عادة، ولكنه في هذه اللحظة كان يمثل ارتفاعاً شديداً في درجة الحرارة. وبعدما تحررت لوميكي من ذراعه، نهضت من السرير، فأخذ سامبسا يتمتم بكلمات غير مفهومة وهو نائم، ثم استدار وأكمل نومه بهدوء؛ إذ كان ينام بكل راحة وسكينة. وهنا أخذت لوميكي تنظر إلى رأسه من الخلف وإلى شعره الأشعث، وبدأ الحنان الذي تحس به تجاهه يتسرب إلى نفسها رويداً رويداً.

سامبسا الحلو والوسيم، وهو ينام كطفل بريء، إذ كان بريئاً بشكل غريب، حتى حينما يكون مستيقظاً. ثم إنه مقدام وشجاع لأنه ليس ثمة شيء يهابه بالفعل؛ إذ كان يقدّر نفسه حق قدرها، وذلك لأنه لم يكن مصدر شك بالنسبة لأحد، ولم يدس أحد على كرامته مطلقاً.

أغلقت لوميكي الباب خلفها حينما دخلت المطبخ، ثم أشعلت النور وحاولت أن تصل إلى قرار بشأن إعداد قهوة لها؛ إذ لم يكن

بوسعها في ذلك الحين أن تخلد إلى النوم قطعاً، لذا كانت في تلك اللحظة بحاجة إلى تلك الرائحة القوية والنكهة المألوفة، ولقرصة الرشفة الأولى التي سرعان ما تتحول إلى شعور حسي من الاسترخاء والانتعاش؛ مما يشحذ حواسها ويستنهضها.

كانت على وشك الإمساك بإناء القهوة سريعة التحضير حينما لاحظت أن هاتفها يضيء، مما يعني أن هناك رسالة نصية قد وصلتها. ولكن، مَن الذي يمكنه أن يرسل لها رسالة في هذه الساعة المبكرة من النهار؟

تابعنا على تيليجرام اضغط هنا

حبيبتي لوميكي، تابعنا على فيسبوك اضغط هنا

أعرف أنك مستيقظة، إذ بوسعي أن أرى النور وهو ينبعث من نافذتك. لا تفكري بإيقاظ حبيبك النائم، لأن هذا الأمر يجب أن يبقى بيننا نحن الاثنين؛ شأنه في ذلك شأن سائر الأمور المهمة.

عندها، جف حلق لوميكي ولم تعد قادرة على ابتلاع أي شيء، وأحست بأنها تجد صعوبة في التنفس، ثم اكتشفت أن الرسالة النصية قد تم إرسالها عبر مخدم غير معروف، وهكذا كان هاتفها يُظهر رقم مزود الخدمة فقط، وليس رقم المرسل، مما يعني أن الشخص الذي يتعقبها لم يترك أي شيء للصدف، كما لم يترك أي أثر يمكن أن يدلها عليه، حتى ولو بالصدفة.

الهروب، الاختباء، إطفاء الأنوار.

كان ذلك أول ما فكرت به لوميكي، إلا أنها كانت تعرف أن ذلك

لن يكون مجدياً؛ لأنه قد رآها قبل ذلك، لذا ليس بوسعها الاختباء بعد الآن. لهذا، وبخطى وئيدة توجهت نحو النافذة، وأخذت تحدق عبرها بالظلام، ثم حاولت منع يديها من الارتجاف بالضغط بهما على الزجاج، لتحدد لنفسها فرجة صغيرة تشاهد من خلالها العالم في الخارج. لكنها لم ترَ أحداً في الحديقة، كما أن ظلال الأشجار لم تتحرك، إلا أنه كانت هنالك الكثير من الأماكن المظلمة التي يمكن للشخص الذي يتعقبها أن يختبئ فيها ريثما يتدبر أمره، أو ربما كان في البناء المقابل لبيتها، كما يمكن أن يكون واقفاً في أي مكان؛ وذلك لأنه تمكّن من رؤية لوميكي من دون أن تتمكن هي من رؤيته.

وهنا وصلتها رسالة نصية أخرى جاء فيها:

اخرجي، أريد أن أريك شيئاً.

أبداً... وفي تلك اللحظة، كانت لوميكي على وشك أن تضرب بهاتفها عرض الحائط. أيظن ذلك الشخص أنها لا تخاف على نفسها مطلقاً، وأنها ستخرج في عتمة الليل بمجرد أن يقوم شخص معتوه بإرسال رسائل نصية لها؟ كانت لوميكي تعرف أنها متهورة في بعض الأحيان، ولكنها لم تكن مجنونة لتلك الدرجة.

جلست لوميكي إلى الطاولة، وأخذت تنظر إلى هاتفها. كان بوسعها أن تطفئه، وبوسع الشخص الذي يتعقبها أن يرسل لها رسائل نصية طيلة الليل إن رغب بذلك، ولكنها لم تكن مستعدة لقراءة أي منها.

وفي تلك اللحظة بالتحديد، وصلتها رسالة نصية ثالثة، ورد فيها:

بإمكاني أن أراك بعدما قررت عدم الخروج، إلا أن ذلك سيعود عليك بالسوء. ففي هذه الحالة، لا بد أن أفعل شيئاً آخر هذه الليلة، إذ لدي عنوان آنا-صوفيا الآن، وأعتقد أنني سأقوم بزيارتها، فهل لديك ما تحبين أن أقوله لها؟ إن كان لديك أي شيء، فهذا هو الأوان المناسب لقوله؛ لأنها لن تقدر على سماع ذلك أو غير ذلك في الصباح.

وهنا نهضت لوميكي بسرعة كبيرة، لدرجة أن سرعتها جعلتها توقع كرسيها على الأرض، فأحدث جلبة كبيرة. إذا كان الشخص الذي يقوم بإرسال تلك الرسائل يخدعها، فما معنى ذلك التهديد التافه؟! ثم إنه لن يقوم بقتل آنا-صوفيا لأنه لا يستطيع القيام بذلك، وهو يحاول أن يرى إلى أي مدى يمكنه أن يثير غضب لوميكي.

ولكن، ماذا لو كان جدياً في ذلك؟

وفي تلك اللحظة، وصلتها رسالة رابعة:

هل غيرت رأيك؟ أمامك خياران يا لوميكي: إما أن تخرجي الآن، أو ستموت آنا-صوفيا قبل الفجر. قد تكونين راغبة بموتها. وإن كنت كذلك، فمن دواعي سروري أن أسعدك، وأن أقوم بأي شيء من أجلك يا حبيبتي.

عند ذلك، أدركت لوميكي أنه لا يمكنها أن تخاطر لأنها لم تكن تعرف الشخص الذي تتعامل معه، ولكنها تعرف أن الشخص الذي يتعقبها يعرف عنها أشياء لا يمكنه أن يطلع عليها بسهولة، ولا بد أنه قد أعد العدة للقيام بأي شيء.

لبست لوميكي ثيابها، ثم ارتدت معطفها وانتعلت جزمتها، وألقت نظرة مختلسة وحذرة أخيرة لتتأكد أن سامبسا لا يزال نائماً بكل هدوء وسلام، ثم كتبت له على عجل رسالة ذكرت فيها أنها لم تستطع أن تنام، ولذلك خرجت لتتمشى. وكانت تتمنى في أعماقها ألا ينهض سامبسا من نومه قبل عودتها، هذا إن عادت أصلاً.

كلا، لم تكن لوميكي لتستسلم للخوف؛ بالرغم من أنه كان يجتاحها كالطوفان الذي يخنق الأنفاس.

كانت قطرات مطر خفيفة تتساقط في الخارج. ولكن، قبل قيامها بإغلاق الباب، ضغطت لوميكي على المقبض بقوة لدرجة أحست معها بألم في يدها، ثم نظرت حولها ولكنها لم ترَ أحداً، فأخذت تفكر: ترى، ما نوع هذه اللعبة؟ فها هي قد خرجت، وأطاعت الأوامر.

وهنا وصلتها رسالة نصية أخرى:

فتاة مطيعة! إلا أن الجو في الليل بارد، ولهذا أريد أن آخذك إلى مكان دافئ. أعرف أنك تركضين بسرعة، لذا عليك أن تهرولي لمدة خمس عشرة دقيقة لتصلي إلى قصر ميلافيدا. وإن لم تتمكني من الوصول في الوقت الذي حددته لك، فسأغير خططي بعد كل ذلك العناء، وسأمضي لقتل آنا-صوفيا. وقد بدأ احتساب الوقت منذ الآن.

كانت لوميكي قد شرعت بالجري فور قراءتها الكلمات الأخيرة من تلك الرسالة. أحست بأن ممر الحديقة الذي كان مبللاً وزلقاً على وشك أن ينزلق تحت وطأة جزمتها السميكة. ولكن، لمَ لم تفكر

بانتعال حذاء رياضي للجري؟ كان عليها أن تعرف في ذلك الحين أن الأمر سينتهي بها إلى الركض على أية حال، فقد اتخذت حياتها ذلك المسار منذ شهر شباط الماضي.

أخذت لوميكي ترسم في ذهنها أسرع طريق، وكان ذلك عبر اجتياز الحديقة، وعبور سكة القطار، ثم التوجه مباشرة نحو النهر. ثم وجدت نفسها تخوض وتدوس بجزمتها طيناً بلون بني مائل للرمادي. وبعد ذلك، بدأ المطر الخفيف والبارد يتسرب إلى جسمها من خلال معطفها وقبعتها، مضعفاً رؤيتها. أما مصابيح الشارع فكانت تصدر أضواء واهنة. وهكذا، ظلت سائر الأماكن التي لم يصلها نور الشارع قاتمة كالقار.

وبينما كانت لوميكي تهرول وتلقي بنظراتها هنا وهناك في آن معاً، أخذت تتساءل عن معنى كل ذلك، وعن سبب قيامها بذلك، وسبب اكتراثها إن قام الشخص الذي يتعقبها بتنفيذ تهديده؟ لم تكن لوميكي قد رأت آنا-صوفيا منذ أكثر من سنتين، ولم يكن ثمة ما يربطها بها بأي حال من الأحوال، لذا لا ينبغي أن تكترث بكل ذلك إن حدث أي مكروه لتلك الفتاة التي كانت ترهبها في المدرسة في ما مضى.

حينما عبرت لوميكي تلك الطرقات واتجهت شمالاً نحو النهر، أدركت أن ذلك كان الشيء الوحيد الذي بوسعها أن تقوم به، وذلك لأنها في داخلها كانت تتمنى أن تموت آنا-صوفيا بالفعل. إذ كانت لوميكي قد تخيلت ذلك عدة مرات، بل كانت تحلم بأن يحدث ذلك في بعض الأحيان، حتى بعد ابتعادها عمن عذبوها وانتقالها إلى

تامبيري. كانت لوميكي في أعماقها متعطشة لذلك الانتقام، ولذلك الإحساس الذي يشعرها بأن الأشرار قد نالوا جزاءهم. فبسبب آنا-صوفيا وفانيسا، أمضت لوميكي سنين طويلة وهي تتمنى الموت بدلاً من تحمّل العذاب الذي أنزلوه بها.

لذا، كان الانتقام مبرراً.

ولكن، لو بقيت لوميكي في البيت، وعاودت النوم ثم علمت بمقتل آنا-صوفيا، فحينها لا بد أن تحس أنها مسؤولة عن مقتلها، ولا بد أن تحس بالذنب لأنها كانت تتمنى ذلك في أعماقها.

كانت أمامها خمس دقائق أخرى قبل أن يحين الموعد، ولهذا أخذت لوميكي تتمشى في الشارع، إذ كانت على وشك الوصول إلى جسر المشاة الذي يجتاز النهر ويصل إلى الحديقة التي أقيم فيها ذلك القصر. كان الجسر مبللاً، غير أن الهواء البارد والرطب كان يؤذي رئتيها، ولكنها قادرة على تدبر أمرها أثناء اجتياز الجسر، بل كان عليها أن تفعل ذلك.

لم تكن تلك الحديقة من الأماكن المفضلة بالنسبة للوميكي. فبالرغم من أنها جميلة للغاية، وذات تاريخ عريق، إلا أنها بنيت فوق سطح تربة صخرية جرداء في مطلع القرن التاسع عشر، وكانت خلال فصل الصيف تكتسي بحلة خضراء فاتنة، كما تتمتع بمناظر وإطلالات رائعة على البحيرة، وفيها مختلف أنواع النباتات التي تعيش في التربة الصخرية، وقد سورت بسياج من أحجار النهر، وتتواجد في تلك الحديقة أكبر شجرة حور في فنلندا، ولهذا كانت لوميكي تعتبرها أفضل حديقة في تامبيري في ظل ظروف مختلفة.

لكن بليز كان قد خذلها في هذا المكان، ولهذا السبب لم تستطع لوميكي أن تأتي إلى هذه الحديقة من دون أن يخالجها مزيج مختلط من الحزن والقلق. في هذا الوقت، كانت الحديقة قاتمة وخرساء كالقبر، وهذا ما حولها إلى شيء أشبه بالكابوس.

كان هيكل القصر يقف كبناء أبيض ومنهك بشكل يرثى له وسط الحديقة، وذلك فوق أعلى بقعة فيها، ويتمتع بعزلة مهيبة. أحست لوميكي بألم في رئتيها وهي تستنفد آخر قواها في الصعود إلى ذلك المكان.

ميلافيدا، كان هذا الاسم الموسيقي هو الاسم الأصلي لذلك المكان. وكان تاريخ ميلافيدا مأساوياً؛ إذ إن صاحب مصنع فينلايسون للنسيج- واسمه بيتر فون نوتبيك، وهو ابن ويلهيلم فون نوتبيك- قد بنى ذلك القصر في موضع بيت عائلته السابق. وهو عبارة عن قصر أنيق يقع بالقرب من المرتفع الصخري الذي ينتصب فيه القصر اليوم. إلا أن أسرة نوتبيك لم تعش في ذلك البيت الجديد الذي تم بناؤه عام 1898، وذلك بسبب أولغا زوجة بيتر التي توفيت وهي تضع توأماً، ثم توفي بيتر بعد مرور ستة أشهر على وفاتها، وذلك بعد عملية استئصال الزائدة الدودية في مشفى بباريس. بعد ذلك، تم بيع القصر لمجلس مدينة تامبيري في العام 1905. وفي ليلة من ليالي كانون الأول الظلماء، كان قصر ميلافيدا يبدو كشبح بناء أثيري، وكأنه قصر للأشباح، ولعل عائلة نوتبيك قد انتقلت منه بعد حادثتَي الوفاة اللتين أعقبتا بناءه.

نظرت لوميكي إلى هاتفها، فوجدت أنها وصلت في الموعد

المحدد. ولكنها شعرت أنها على وشك أن تصرخ وتنادي الشخص الذي كان يتعقبها ليخرج ويكشف عن هويته في نهاية المطاف. وفي تلك اللحظة بالذات وصلتها رسالة نصية جديدة جاء فيها:

لقد وصلتِ قبل الموعد بدقيقة واحدة، إذ كنتِ أسرع مما توقعت، ولذلك سأكافئك. ثمة فتحة صغيرة ضمن أساسات القصر، تقع على اليسار حينما يكون ظهرك للبحيرة، وقد تركت فيها شيئاً لك.

في البداية، كانت اللعبة لعبة كلمات تحمل دلالات. أما الآن، فقد أصبحت لعبة «غميضة»، ولا بد أن الشخص الذي كان يتعقبها يستمتع بشكل مرضي بكل ذلك. مضت لوميكي نحو الجانب الأيسر من البناء، وبدأت تتلمس الأساسات الحجرية الباردة بأناملها، ولكنها لم تجد شيئاً، إذ لم تكن هنالك أية فتحة، ثم تعبت من البحث. ولكن، فيما كانت على وشك الاستسلام والكف عن البحث بعدما بدأت أصابعها تتخدر، وجدت شقاً على مستوى الأرض تقريباً، فأدخلت أصابعها فيه، وأمسكت بشيء معدني، ثم أخرجته.

وجدت في يدها مفتاحاً نحاسياً صغيراً.

أهنئك! هذا مفتاح سرُّ حياتك الكبير. وأنا متأكد من أنك حالما تتذكرين بشكل جيد فلا بد أن تتذكري أيضاً الشيء الذي يستخدم هذا المفتاح من أجله. ولكن، الآن حان الوقت لتمضي وتتأكدي من أن أميرك لا يزال نائماً بسلام، لأنك لا ترغبين قطعاً بأن يحدث له أي مكروه، حتى إن لم يكن حبك الحقيقي.

لم تكن لوميكي تعتقد أنها ستركض عائدة إلى البيت بأسرع مما أتت؛ إذ منحها الخوف جناحين. وأخذت تفكر: ماذا لو فعل هذا المجنون أي شيء لسامبسا...

في البيت، كان كل شيء كما يجب أن يكون، إذ كان سامبسا نائماً على السرير. وهكذا خلعت لوميكي ملابسها، ثم أتلفت الرسالة التي سبق أن كتبتها، ثم رمتها في سلة المهملات وتسللت إلى السرير، فاستدار سامبسا وعانقها وهو لا يزال نائماً. كان طرف الغطاء القماشي الذي كان يتدثر به ندياً، وعندها تساءلت لوميكي: هل كان يعاني من كابوس ممّا جعله يتعرق بغزارة هكذا؟

وفجأة، أحست لوميكي بتعب شديد، فأغمضت عينيها وغطت في نوم عميق خالٍ من الكوابيس أو الأحلام حول المفتاح السري الذي كان ينتظرها في جيب معطفها؛ ذلك المفتاح الذي يحمل شكل قلب.

يمنح الناس الآخرين ثقتهم الكبيرة. وإذا كنت حازماً وموضع ثقة بما فيه الكفاية، فلا بد أنهم سيتلقفون أي كلمة تنطق بها، كما سيحبّون مسحة الصدق في كلماتك؛ وهذا ما جعل عملية الحصول على المفتاح بغاية البساطة والسهولة في نهاية الأمر. فالناس يثقون بي، ولهذا يخبرونني بأشياء لا يطلعون أحداً آخر عليها ما لم يثقوا به. ثم إن كل ما كان علي القيام به هو توفير أجواء ينعم فيها المرء بالاسترخاء والثقة والسرية، وهكذا يبدأ بالحديث. كما عليك ألا تنسي أن المشروبات تساعد الناس على فتح مغاليق قلوبهم، وهكذا وجدت المفتاح في المكان الذي توقَّعه.

«أليس غريباً أنهم لا يزالون يحتفظون به فوق رف الكتب، خلف نسخة من قصة شجرة تينيتامبكين الخيالية؟» هذا ما قاله لي حينما دفعته للشرب حتى ثمل، ثم وافقته الرأي؛ بالرغم من أنني أعتقد أن ثمة أموراً أكثر غرابة في هذا العالم. ثم من أكون أنا كي أحكم على قرارات البشر؟ إذ إن كلاً منا يرغب بالاحتفاظ بأسراره على طريقته.

لقد أردت أن أعطيك إياه حتى تتمكني من التذكر. وكان بوسعي أن أطلعك على كل ما اطلعت عليه، إلا أن ذلك لا بد أن يبعث على الملل، لذلك آثرت أن تكتشفي ذلك بنفسك؛ لأن ذلك سيكون أكثر

قيمة وأهم بالنسبة لك، وبعدها ستسترجعين ذكرياتك الحقيقية.

لعلك غير قادرة على التفكير بهذه الطريقة، لكنني أمنحك هباتي. أمنحك كلاً منها في وقت معين، وتلك الهبات أهم هبات حصلتِ عليها في حياتك.

فها أنذا أمنحك ماضيك،

وأعطيك سرك،

وأعرفك على نفسك الحقيقية،

وأهبك نفسك في نهاية المطاف.

وبعدها، ستصبحين جاهزة لاستلام هدية أخيرة مني، وهي حبي الأبدي؛ لأنك حينها ستدركين أنني الشخص الوحيد الذي بوسعه أن يحبك كل هذا الحب، وعندها ستتعلمين كيف تحبينني أنا أيضاً؛ فنحن متشابهان، بل نحن شخص واحد.

الثلاثاء، 12 كانون الأول

11

أخذت المياه القاتمة تبتلع لوميكي التي بدأت تغوص فيها أعمق وأعمق، ولم يعد بوسعها أن تصل إلى سطح الماء رغم محاولتها. غير أنها لم تكن ترغب بالمحاولة، إذ كانت هنالك غابة تحت الماء، غابة مختلفة عن أي غابة موجودة على سطح الأرض، كما أن جذوع الأشجار وأغصانها كانت تتحرك برشاقة وبشكل متواصل لأنها تتمتع بمرونة هائلة، لأنها نباتات مائية طرية.

أخذت لوميكي تغوص أعمق فأعمق، فأصبح بوسعها حينها أن ترى شيئاً يلمع في قاع البحيرة، وكان عبارة عن صندوق صغير، لكنه بدا لها مألوفاً، فأدركت حينها أن المفتاح النحاسي الذي وصلها يناسب القفل الموجود في الصندوق، أي أن كلاً منهما ينتمي إلى الآخر.

حاولت لوميكي أن تصل إلى الصندوق، إلا أن قدميها علقتا فجأة بطين قاتم اللون في قاع البحيرة، وهكذا لم تعد قادرة على الحركة أو التنفس، حيث أحست بأن كمية الأوكسجين لديها على وشك النفاد، وأدركت أن رئتيها ستمتلئان بالماء بعد قليل وستموت. «الخوف».

استيقظت لوميكي من نومها عند سماعها تلك الكلمة التي

نُطِقَت بتشديد كبير، فما كان منها إلا أن هزت رأسها لتستبعد تلك الأفكار، حيث استغرق الأمر بضع ثوانٍ لتتذكر أنها كانت تحضر درس علم النفس، وأن صوت المدرس هو الذي أيقظها. وفي تلك اللحظة، أحست بأن الجري نحو قصر ميلافيدا خلال الليلة الفائتة كان أشبه بكابوس بعيد، لكن بقي من ذلك الكابوس دليلان ماديان، وهما ذلك التعب الذي أشعرها بالخبل، وذلك المفتاح النحاسي الصغير الذي كان في جيب بنطالها الجينز، والذي كان وجوده يغريها بتحسسه مرة إثر مرة.

الصندوق، تذكرت الصندوق، ولكن أين سبق لها أن رأته؟

قال الأستاذ هينريك فيرتا: «يعتبر الخوف أحد الدوافع الأساسية للسلوك البشري». ثم تابع: «وفي بعض الأحيان، أتساءل إن كان يجدر بنا التحدث عن الشجاعة أصلاً. فلعلها غير موجودة من الأساس؛ إذ لا يوجد غير الخوف».

وهنا سألت تينكا من دون أن ترفع يدها: «كيف تعلل ذلك؟».

فرد الأستاذ: «غالباً ما نسمع أن الشجاعة عبارة عن عملية قهر للخوف. وبحسب اعتقادي، إن الخوف بحد ذاته هو الذي يدفعنا للتصرف، وبوسعه أن يجعلنا نقوم بأشياء لا يمكننا القيام بها إن لم نحس به. وبناء على ذلك، يبدو الخوف شبيهاً بالشجاعة».

كان صوت هينريك عميقاً وعذباً، وكان من المعلمين المفضلين لدى لوميكي على الدوام، وخاصة لأنه كان يعرف كيف يتناول الأمور بطريقة لا تثير حفيظة الآخرين.

سأله أليكسي: «ولكن، ألا يجعلك الخوف تهرب بينما تجعلك

الشجاعة تثبت وتقاتل؟».

فرد عليه هينريك: «بإمكانك أن تفكر بالخوف بهذه الطريقة، ولكن يمكنك أيضاً أن ترى أن الخوف يعلمنا طريقة التصرف المثلى في حالة معينة. ويعتبر الخوف من الموت أقوى أنواع الخوف، ثم إن الخوف يجعلنا نهرب في بعض الأحيان، ولكنه يحفّزنا على القتال في أحيان أخرى».

كانت لوميكي لا تزال متعبة، وكانت تتمنى لو كان بوسعها أن تضع رأسها فوق ذراعيها على المقعد لتنام وتنام وتنام. كان سامبسا يجلس إلى جانبها، فأخذ يمسد ذراعها ثم همس لها:

«عودي إلى البيت بعد هذه الحصة لتحصلي على قيلولة؛ إذ تبدين كالأموات الخارجين من قبورهم».

أطلقت لوميكي صوتاً كالشخير وهي ترد عليه بالقول: «شكراً»

كان سامبسا قد لاحظ في الصباح مدى التعب البادي على لوميكي، واكتفت لوميكي بإخباره أنها لم تنل قسطاً وافراً من النوم. فما الذي كان بوسعها قوله له غير ذلك؟ لقد كان الشخص الذي يتعقبها بغاية الوضوح، وقد منعها من أن تتفوه بكلمة عنه أو عن رسائله لأي شخص كان.

كان سامبسا يعتقد أن لوميكي بحاجة إلى البقاء في البيت بعد المدرسة، ولكنها شعرت بأنها غير قادرة على البقاء وحدها في ذلك اليوم. وبالرغم من أن فكرة الراحة بدت لها مفيدة في تلك اللحظة، إلا أنها بدت في الوقت نفسه كنوع من الإجبار.

وبعد انتهاء الحصة، طلب هينريك من لوميكي أن تبقى في

الصف بعد خروج زملائها لبضع دقائق. وكان على سامبسا أن يسرع لحضور الحصة التي تلي تلك الحصة، ولهذا اكتفى برفع يده لتصل إلى أذنه في إشارة إلى أنه سيتصل بها لاحقاً، فهزت لوميكي رأسها بالإيجاب.

سألها الأستاذ هينريك: «كل ما أريده هو أن أتأكد من أنك تخططين للالتحاق بكلية علم النفس عبر الخضوع لامتحان القبول فيها خلال الربيع».

ردت لوميكي: «أظن ذلك».

فقال لها: «لم يكن يجدر بي أن أسألك، ولكنك قطعاً أكثر طالبة مبدعة مرت علي منذ سنوات. من المفترض ألا نتفوه بأشياء كهذه، لكنني أردت أن تعرفي ذلك».

ثم ربت هينريك على كتف لوميكي بلطف.

فردت لوميكي وهي تحس بأنها فقدت توازنها: «حسناً، أشكرك».

ثم شعرت بالارتياح حينما التفت هينريك نحو أوراقه، مما يعني أن الحوار قد انتهى. إذ كانت لوميكي بحاجة للنوم، وكان ذلك الموقف متعباً بالنسبة لها.

رن جرس الباب في الوقت الذي كانت لوميكي تحلم فيه بتقبيل بليز. وفي منامها رأت المفتاح النحاسي ينزلق من فمها إلى فمه.

نهضت لوميكي من سريرها والحلم لا يزال يسيطر عليها، ثم نظرت من ثقب الباب ورأت بليز بكل تأكيد، غير أنها لم تشعر بأي دهشة.

فتحت الباب بالرغم من أنها كانت قد عاهدت نفسها ألا تسمح

له بالدخول أبداً. غير أنها ظلت تشعر بطعم القبلة التي رأتها في منامها على شفتيها. في البداية، لم ينبس بليز بأي كلمة، بل خلع قفازيه البرتقاليين، وأخذ يمسد خد لوميكي بنعومة بأصابعه الباردة.

ثم قال لها: «كان يجب عليّ أن آتي. فمنذ لقائنا الأخير بدأ يراودني ذلك الإحساس بأنك خائفة من شيء ما، لذا كان عليّ أن آتي لأتأكد من أنك بخير. تعرفين أنني أستطيع أن أحميك من أي شر في هذا العالم».

اخترقت تلك الكلمات قلب لوميكي كسهام حارقة، وأحست أن شيئاً ما داخلها قد تصدع وانكسر.

وذلك لأنه أصبح بوسع أحدهم أن يراها بوضوح كبير، وأن يحس بالمشاعر التي سعت جاهدة لإخفائها.

جذبت لوميكي بليز من رقبته ثم شدته إليها، وأخذت تحدق إلى عينيه لأطول فترة ممكنة، وتغوص في مياه تينك العينين الجليدية، وتقفز إلى زرقة السماء فيهما، ثم تخطو نحو أكثر بقعة متوهجة وذات لون أبيض مائل للزرقة في عينيه. ثم قبّلته، بحيث نقلت القبلة كل الشوق والتعاسة والرغبة والعاطفة التي كانت جميعها تمزقها منذ أن انفصلا عن بعضهما.

وحالما بدأت القبلة، عرفت لوميكي...

أن تلك كانت غابتهما، وأنها بحيرتهما، وأنها أيضاً سماؤهما الصافية ذات اللون الأسود الحبري المزدانة بنقاط مضيئة.

كل تلك الأشياء أحاطت بهما في وقت واحد، فلم يختفِ منها شيء. حيث وجد الضوء مسارات صغيرة عبر أوراق الأشجار،

وكذلك الظلام الهادئ، وحفيف الأشجار، واحتكاكها، وصوت هديل الحمام، وأنين الريح، والأمواج اللطيفة الرجراجة التي تحتضنهما، والتيارات المنعشة، وتجمعات الماء الدافئة، والإحساس بانعدام الوزن، والدوار، والاتساع، والديمومة، والهواء الذي كان ينساب بحرية إلى رئتَي كل منهما، ونبض هذا الكون، وقلبهما المشترك.

لم تستطع لوميكي أن تتذكر متى كانت آخر مرة أحست فيها بمرارة شيء مثل انتهاء تلك القبلة، لكن كان عليها أن تفعل.

ولكن، كيف يمكن لشيء يحس المرء أنه الصحيح والمناسب أن يكون غير صحيح وغير مناسب؟

وأخيراً نطقت لوميكي فقالت: «لا يمكننا أن نلتقي، لفترة قصيرة على الأقل، لأنني بصحبة سامبسا حالياً».

كانت قد أرغمت نفسها على الابتعاد عنه خطوة للوراء، فأحست أن المسافة التي أصبحت بينها وبين بليز بعيدة بشكل مؤلم؛ إذ كان الأجدر بهما أن يكونا ملتصقين ببعضهما في تلك اللحظة، لكن لم يكن بوسعهما القيام بذلك.

سألها بليز: «أتحبينه؟».

كان قد طرح السؤال بنبرة جدية، حيث أصبح من واجب لوميكي أن ترد عليه بصدق.

فأجابته: «لست أدري ما هو الحب».

فسألها: «إذاً، لمَ أنت معه؟ ولمَ تقومين بإبعادي عنك؟

وهنا بدا الإعياء على وجه لوميكي.

ردت عليه: «بالطبع لا، ولن أسمح لك بأن تمزح بخصوص

هذا الموضوع أصلاً».

قال لها: «إذا كنت غير مناسب لك فقولي لي ذلك بكل بساطة؛ هذا إن كان ينقصني الكثير من الأمور».

أحست لوميكي بالألم والحزن في صوت بليز، ولكنها لم تستطع أن تهدئ من روعه، ثم إن الوقت لم يكن مناسباً لذلك.

فاكتفت بالقول: «لا يمكن لهذا الأمر أن يسير بهذا الاتجاه».

إذ كيف تستطيع أن تشرح لبليز أنها أحست بأن كل الأمور كانت على ما يرام، بل رائعة حينما كانت بصحبته؟ كانت تحس حينها بأنه لم يكن ينقصهما شيء، غير أنها أصبحت حبيبة لسامبسا الآن، وسامبسا لطيف معها، كما أنه شخص رائع ويُعتمد عليه، ثم إنه لم يكسر قلبها.

أدركت لوميكي أنها إن تقدمت خطوة أخرى باتجاه الغابة، وإن سبحت لمسافة مترين آخرين في البحيرة، وإن تركت السماء المزدانة بالنجوم تهبط وتغمر روحها، فعندها لن تعود قادرة على الابتعاد عن كل ذلك، بل لن تعود راغبة بالابتعاد عن كل تلك الأشياء. كما أنها لم تصدق أنه بوسعها تحمل خسارتها لكل تلك الأمور مجدداً؛ إذ سبق لبليز أن فعل ذلك بها مرة، وذلك عندما رحل وأخذ معه الغابة والبحيرة والنجوم، لذا لم يكن بوسع لوميكي أنَ تصدق أنه لن يكرر فعلته مرة أخرى، ولم تكن لديها الجرأة التي تسمح لها بتحمل الجرح والألم مجدداً.

صاح بها بليز: «لا يمكنك أن تفعلي بي ذلك. فقد تمكنت من تحمل كل ذلك بفضلك، لذا بوسعنا أن نعود إلى بعضنا، ولكنك الآن تديرين لي ظهرك».

عندها، أخذت لوميكي تفكر في سرها: لقد أدرت لي ظهرك سابقاً، إلا أن هذا ليس انتقاماً؛ لأنني لن أفعل هذا بك، بل أنت من فعل ذلك بنفسه. فأنا أعاقب نفسي أكثر مما تفعل أنت، وأحرم نفسي من السعادة لأنني بت أخاف منها كثيراً. وكل ما هنالك أنه لم يعد بمقدوري أن أتقدم نحو الظلمة وأقع فيها مجدداً، لأنني لا بد أن أموت حينها، بل لا بد أن أفقد عقلي.

ولكنها اكتفت بالقول: «لقد تحملتَ كل ذلك من أجلك أنت، بل كان يجدر بك أن تفعل ذلك، إذ لا يمكن لأي كان سواك أن يشعرك بالسعادة والاكتمال».

عندها، رأت لوميكي الدموع وهي تترقرق في عينَي بليز اللتين كان جفناهما يرتجفان. ولكنه استطاع أن يتماسك، وحبس دموعه مانعاً إياها من الانهمار فوق خديه، إلا أن ذلك الألم الذي كبته كان يجرح لوميكي أكثر مما لو كان قد شرع بالبكاء فعلاً؛ لأنه أصبح عليها وقتئذ أن تسعى لمنع نفسها من تطويقه بذراعيها ومعانقته طويلاً... طويلاً...

هتف بها: «إنك مخلوقة باردة يا لوميكي. خلت أنني أعرفك».

غير أن لوميكي لم ترد، إذ ضاعت منها الكلمات. وإذا اختار بليز أن يكون قاسياً معها وأن يكرهها فإن ذلك لا بد أن يسهِّل الأمور عليه أكثر، ولا بد أن يصبح تركها والابتعاد عنها أكثر سهولة بالنسبة إليه.

وبعدما أُغلق الباب، أحست لوميكي بأن ساقيها أصبحتا عاجزتين عن حملها، فتهاوت فوق أرضية الردهة، وأحست بالسواد يتسلل إلى نفسها من خلال الظلال والأشباح التي كانت موجودة في

الزوايا، حيث كانت تخترقها عبر أذنيها ومنخريها، ثم تتلوى لتصل إلى حلقها، ومنه إلى رئتيها فبطنها، لتملأها بالسواد. وقد جعل هذا الأمر التنفس شاقاً بالنسبة لها؛ إذ كانت تحس بأن الهواء قد نفد من داخل رئتيها.

وأخيراً، نهضت لوميكي وتوجهت إلى المطبخ، إذ أحست بالحاجة لتناول بعض القهوة الثقيلة في ذلك الحين، بل كانت بحاجة لقهوة أكثر اسوداداً من السواد الذي استقر داخلها. وبينما كانت لوميكي تضع القهوة في الإناء بحسب المعايير، سمعت صوتاً يشير إلى ورود رسالة بريدية.

وهنا عضها الخوف المألوف بنابه المفترس عند رقبتها.

أخذت لوميكي تفكر: لعلها مجرد رسالة غير هامة.

ولكن، عوضاً عن ذلك، حطت ورقة بيضاء مطوية على أرضية المدخل.

فتحت لوميكي الباب بقوة، ثم اندفعت نحو فسحة الدرج، ولكنها لم تجد أحداً، بل لم تسمع حتى وقع خطوات مسرعة على الدرج، كما كان المصعد ساكناً؛ مما جعلها تتردد للحظة. ولكنها عادت إلى الداخل بعد ذلك، لأنها لم تكن تريد أن تطارد شبحاً. ولعل الأسوأ من ذلك هو أن تتمكن من الإمساك به.

لم تكن لوميكي ترغب بفتح الرسالة، ولكنها لم تستطع منع نفسها من ذلك، فقرأت فيها ما يلي:

أحبك أكثر من أي شخص آخر... دائماً.

لقد أحيتني لمستك، وعندها أحسست بقيمة الحياة.

بقيت أحلم بك لفترة طويلة، وقرأت جميع القصص التي كُتبت عنك في الجرائد، أعني تلك القصص التي كتبوها عنك خلال الصيف الماضي بعدما أنقذت أشخاصاً من البناء الذي كان يحترق. كنت عندما أقرأ تلك القصص والمقالات أرى أنك بطلة، ولكن الصحفيين كانوا لا يعرفونك؛ إذ كتبوا عنك وكأنك مجرد فتاة ذكية أو شجاعة، وذلك لأنهم لم يشاهدوا تلك الضراوة والشراسة في عينيك.

أعرف أنك تشبهينني؛ وذلك لأنك كنت ترغبين في أعماقك بمراقبة النار وهي تلتهم ذلك البناء بمن فيه، ولأن لديك نزعة التخريب في داخلك ولكنك تخفينها لأن مجتمعنا لا يحبذ وجودها، إلا أننا- نحن أبناء الخراب والدمار- نتعرف على من هم مثلنا، وبوسعنا أن نميزهم بسهولة.

إلا أن كلينا يا حبيبتي لوميكي نتمتع بتلك الروح التي تسعى لافتراس طرائدها. وكلانا نمثّل شخصية يسعى الآخرون لقتلها في القصص الخيالية، ولكننا لا نموت، بل نعيش دوماً في الأماكن المظلمة، وخلف الأشجار، وتحت الأرض، وفي أعماق المياه.

وسيأتي ذلك اليوم الذي ستكونين فيه ملكي، وإن ذلك اليوم آتٍ لا محالة، وأسرع مما تتوقعين.

الأربعاء، 13 كانون الأول

12

غاصت لوميكي تحت الأغطية، إذ لم تكن ترغب بأن تغادر ذلك العش الدافئ حيث يمكنها أن تبتعد ولو بشكل مؤقت عن العالم السافل.

كانت قطرات المطر المتجمدة تضرب الشبابيك، كما حاول البرد أن يتسلل عبر شقوق حواف النوافذ، لذلك كانت لوميكي تتمتع بإحساس زائف بالأمان تحت ذلك الغطاء.

أتظاهر بأنني ميت
لأن ذلك يمنعني من التألم
أتظاهر بأنني ميت
فيتوقف الألم

كان صوت المغني بيورك يتردد في ذهنها بالرغم من الصمت الذي كان يلف شقتها. وهنا بدأت لوميكي تتخيل ....

إنه شيء يشبه النوم بكل بساطة
وهو التقوقع داخل عذاباتي الخاصة
فأنا أعشش في الألم
وأعانق المعاناة
وأداعب كل وجع

أحست لوميكي ببليز، وكان إحساسها قوياً وكأنه بجانبها بالفعل. غير أنها أدركت أخيراً أن هذه مجرد طريقة لوصف الأمر؛ إذ كان بليز يعيش داخلها بالرغم من افتراقهما، وحتى إن لم يجتمعا ببعضهما مرة أخرى. وذلك لأن بليز كان الشخص الذي كانت تحس بيده وهي تضغط على يدها حينما تكون خائفة من السير في العتمة أثناء الليل. وكان بليز هو الشخص الذي يمكن لحرارة جسمه أن تجعلها تتوهج وتتقد حينما تكون جالسة فوق كرسي ذي ذراعين وهي تقرأ كتاباً. كما كان بليز هو الشخص الذي يمكن للمسته اللطيفة أن تداعبها حتى تنام حينما تكون مستلقية على سريرها بمفردها، ولم يكن سامبسا ذلك الشخص.

كانت لوميكي تحس بسامبسا حينما يكون عندها، وحينما يلامس جسده جسدها، وحينما تطوق ذراعاه خصرها، وحينما يلمس بشفتيه رقبتها. بعد ذلك، لم تكن لوميكي تحس بأي شيء آخر أو تفكر بأي شخص آخر، إذ كان كل منهما موجوداً من أجل الآخر، وهذا ما كانت تقوله لنفسها على الأقل. ولكن، بعدما يغادر سامبسا ينتهي الأمر عند ذلك الحد. أي أن لوميكي لم تكن تحس أنه قد بقي بجانبها كما كانت تحس بوجود بليز.

وما العيب في ذلك؟

هل بإمكانك أن تواصلي حياتك على هذا النحو؟

لم تستطع لوميكي كبت مشاعرها، أو إنكارها، أو أن تتمنى عدم وجودها. إذ لم تكن تقدر على محو تلك الألفة التي كانت تحس بها مع بليز بقوة إرادتها فقط، وخاصة بعد مرور أكثر من سنة على

انفصالهما وعدم اختفاء تلك المشاعر، أي لم تكن عيباً.

ولكن، بوسعها أن تقرر كيفية تصرفها، وبوسعها أن تختار القرارات التي عليها أن تتخذها. فقد اختارت سامبسا الذي كان يرمز للأمان، بينما كان بليز يرمز للألم. وكان ذلك يمثل الطريقة التي سارت بها الأمور.

كشفت لوميكي عنها الغطاء، فأحست بالبرد على الفور، إلا أن الأرضية الباردة والصلبة أعادت جسدها إلى عالم الواقع؛ وذلك حينما بدأت البرودة تتسرب عبر كل إصبع من أصابع قدميها، الواحدة تلو الأخرى. كان عليها أن تلج إلى العالم الخارجي، إلى المدرسة، وإلى تلك البقعة ذات الإضاءة الكهربائية الساطعة التي يمكنها أن تفزع تلك الكوابيس وتجعلها تبتعد عنها، كما بوسعها أن تمسح ذكرى لمسة بليز من ذاكرة بشرتها.

الإشراق السماوي، حكم المنتصر
يعلنان ظهوراً حتى يراه الجميع.
وستلتهب السماء المزدانة بالنجوم بكل صفاء وسطوع
أشعلوا الشموع، أشعلوا الشموع.

كان درج المدرسة قد تحول إلى ممر اصطفت فيه الشموع، حيث تم إطفاء بقية المصابيح. وهكذا، حوّل الرقص الحي على ضوء شعلات الشموع الخافقة المدرسة إلى قلعة من القلاع الموجودة في القصص الخيالية، أو إلى قصر ريفي من الطراز الذي كان سائداً خلال القرن التاسع عشر.

لم تتذكر لوميكي يومها أن موكب لوسيا سيبدأ في ذلك الصباح؛

إذ بدأ ذلك التقليد ينتقل مؤخراً من الأوساط والبيئات الناطقة باللغة السويدية إلى البيئات الناطقة بالفنلندية أيضاً.

كانت لوميكي تحس بمشاعر متناقضة حيال يوم ذكرى لوسيا على الدوام. إذ كان هنالك شيء من الدفء والأمان يتعلق بذلك اليوم، وكان ذلك يشعرها بالسعادة في أعماقها. إلا أن ذلك اليوم كان يرتبط أيضاً ببعض الذكريات البشعة بالنسبة لها. ففي إحدى السنوات، قبل أن تبدأ لوميكي بالذهاب إلى المدرسة، رغبت بلعب دور لوسيا في البيت، غير أن مركز الرعاية النهارية في ريهيماكي لم يكن قد تبنى تقليد لوسيا بعد. لكن الفكرة سرّت والدتها التي وعدتها بأن تخبز كعكات لوسيا، وأن تخيط ثوباً أبيض للوميكي مع تاج تزينه شموع. إلا أن والدها نظر إليها نظرة قاسية لمدة طويلة، وطغى على وجهه حينها لون رمادي امتص سائر التعابير الأخرى واستبعدها، ثم صاح قائلاً:

«لن تحتفل هذه الأسرة بامرأة اقتلعت عينيها لتمنع رجلاً من الاعتداء عليها بسبب جمالها.

ومنذ ذلك اليوم، لم تعد لوميكي تقترح القيام بأي احتفال بيوم لوسيا مرة أخرى.

أما في هذه اللحظة، راحت تراقب ثلة من بنات الثانوية وهن يهبطن الأدراج ويرفلن بأثواب بيضاء طويلة. كانت أكاليل من الورق الأخضر تزين رؤوسهن، فيما يحملن بأيديهن شموعاً موضوعة على شمعدانات صغيرة. كانت تينكا تتقدمهن، وكان شعرها الأحمر الطويل أشبه بغمامة من الشعر الممووج، وحينما مرّت بلوميكي ابتسمت لها

بلطف وأغمضت عينيها قليلاً.

عندما وصل الموكب إلى البهو الذي تحيط به المرايا من كل الجوانب، وبدأت أصوات الفتيات وهن يغنين تخفت، اكتشفت لوميكي أن كلمات تلك الأغنية كانت تتردد في ذهنها ولكن باللغة السويدية:

Stjärnor som leda oss, vägen att finna,
bli dina klara bloss, fagra prästinna.
Drömmar med vingesus, under oss sia,
tänd dina vita ljus, Sankta Lucia.

النجوم التي ترشدنا لنتهدي إلى السبيل،
تساعدك على أن تحمل مشاعلك، إلى لوسيا الرائعة.
الأحلام مع الأجنحة، تحت السماء
تنير الضوء الأبيض الخاص بك يا لوسيا.

كانت لغة لوميكي الفنلندية أقوى من السويدية دوماً، ولهذا كان استخدامها للسويدية أقل بكثير، وكثيراً ما كانت تتحدث بتلك اللغة مع والدها وأقاربها. ومع ذلك، كانت السويدية بالنسبة لها لغة الشعر ولغة الأغنية التي تعزفها أوتار مشاعرها داخلها من دون أن تعرف اسمها.

.Drömmar med vingesus

الأحلام مع الأجنحة.

Vingesus/ الأجنحة... كيف يمكن لكلمة واحدة أن تحمل كل هذا الجمال؟ أجنحة... حفيف الأجنحة، أو رفيف كخفق النسيم. هدير كهدير النهر على المنحدرات، أو هسيس كصوت النار

المستعرة. كانت لوميكي تسمع الكلمة وفي أذنيها نغمات وألحان بصوت طفولي واضح، وكان ذلك الصوت مألوفاً بالنسبة لها، غير أنه لم يكن صوتها.

وفجأة، رأت درجاً خشبياً أمامها، وفتاة صغيرة تنزل عليه بسرعة وهي تغني أغنية: «لوسيا» بالسويدية. كانت تلك روزا، لا بد أن تكون تلك الفتاة أختها روزا التي فقدتها. أخذت تتذكر كم كانت روزا جميلة في عينيها، بل كان جمالها نورانياً بعض الشيء. كما تذكرت كيف كانت تفكر بأنها ترغب بالغناء مع روزا في السنة المقبلة. ولكن، لمَ لم تكن لديها أي ذكرى عن السنة التي أتت بعد ذلك؟ ألم تأت تلك السنة؟

في ذكرياتها، كانت روزا تبتسم لها بكل حنان، كما تفعل الأخت الكبرى مع شقيقتها.

شد الأمير رباط مشد خصر لوميكي.

شدة صغيرة أخرى وبعدها ستصبحين زوجة مطيعة.

شدة صغيرة أخرى وستتعلمين كيف تتصرفين بعفة وانضباط أكبر. فقد أصبحت بعيدة عن الحياة في الغابة، وأصبحت ملكة، لذا عليك أن تسيري ببطء وهيبة، وعليك أن تمسكي لسانك حينما تتحدثين. ولا يجدر بك أن تصرخي أو تضحكي، فهذا سلوك لا يليق بالملكات.

أصبحت لديك أثواب جميلة، ومجوهرات ثمينة، ومخادع مطلية بالذهب، لذا لا أفهم سبب تعاستك وسخطك!

تردد صدى كلمات الأمير في أذني لوميكي، ثم أحست بأنها تعاني من صعوبة في التنفس، إذ كان ذلك المشد يعتصر رئتيها ويمنعهما من استنشاق الهواء، وهكذا بدأت حدود الرؤية لديها بالاهتزاز، ثم أصبحت مظلمة.

همس الأمير في أذن لوميكي: «شدة صغيرة أخرى وبعدها ستنامين للأبد، وعندها سأعيدك إلى تابوتك الزجاجي؛ لأنك كنت أكثر جمالاً فيه، كما كان وضعك أفضل، وكنت مرتاحة هناك. لقد أسرتني العذراء التي كانت في الصندوق الزجاجي، وليس هذه الشخصية الجامحة والوقحة وقليلة الأدب، والتي تبدو طبيعية وواقعية للغاية».

عندها، لم تعد لوميكي قادرة على التنفس.

إذ كان الأكسجين قد نفد لديها.

حاولت لوميكي أن تلهث لتتمكن من التنفس، لكن ذلك لم يفدها؛ لأنها لم تستطع أن تملأ رئتيها بالهواء، وأخذ ينتابها ذلك الإحساس بالغرق وبأنه يُغمى عليها. ثم أخذت الظلمة تفرد أجنحتها أمام عينيها.

وهنا تهاوت لوميكي، وارتطم رأسها بالأرض. وبينما كانت عيناها تجوبان أرضية خشبة المسرح، تذكرت فجأة المكان الذي كانت قد رأت فيه الصندوق الذي يستطيع المفتاح فتحه. كان ذلك في غرفة نوم والديها تحت السرير، وكان ملفوفاً بقطعة قماش. كانت قد رأته هناك منذ سنين طويلة، حينما كانت تحضر ميزان حرارة من غرفتهما فسقط منها على الأرض، ثم تدحرج تحت السرير. عندها،

تساءلت لوميكي عن ذلك الشيء الملفوف بقماشة داكنة. وحينما اختلست النظر من تحت القماش، رأت صندوقاً خشبياً.

وللحظة عابرة، اعتقدت حينها أنها تذكرت شيئاً من طفولتها يتعلق بالكنوز. ولكن في ذلك الحين كان أبواها قد وصلا إلى البيت. غير أن لوميكي سرعان ما أغلقت باب الغرفة بالمزلاج، وكأنها كانت تقوم بشيء محرم. ثم لم تسألهما عن الصندوق لاحقاً، بالطبع لا، وذلك لأنها أدركت أن أمر هذا الصندوق لم يكن يخصها.

غير أنه أصبح يخصها الآن، لأن المفتاح بات بحوزتها.

كانت تلك آخر فكرة خطرت ببال لوميكي قبل أن يغمى عليها.

قطرات صغيرة من الماء سالت فوق وجهها كمطر في فصل الصيف، وبعدها فتحت لوميكي عينيها فرأت سامبسا يحدق إليها بقلق.

وأخيراً، استطاعت لوميكي أن تقول له: «أنا بخير».

كانت تلك كذبة، ولكنها تختلف عن طريقة الكذب بمفهوم سامبسا. كانت لوميكي مستلقية على السطح الأملس، وقد غطيت بغطاء لعلهم أحضروه لها من خزانة الحائط، وكانت قدماها مرفوعتين، وقد أزالوا عنها المشد الذي كانت ترتديه. وإلى جانب سامبسا، كان يقف كل من أليكسي وتينكا التي كانت تحمل قارورة من الماء. إذاً، كانت هي من يقوم برش الماء على وجه لوميكي على ما يبدو.

صاحت تينكا بأليكسي: «طلبت منك أن تتعامل بحذر مع المشد».

فرد عليها أليكسي مدافعاً عن نفسه: «لكنني لم أشده كثيراً».

هتفت لوميكي وهي تنهض ببطء: «لم يكن ذلك هو السبب». وأحست بأن الظلمة كانت على وشك أن تسيطر على رأسها من جديد، لكنها رفضت أن تستسلم للدوار. لذا، كان عليها أن تقنع الآخرين بأن كل شيء على ما يرام، لأنها إن لم تفعل ذلك فلن يسمحوا لها بأن تغادر.

ولذلك قالت لهم: «ربما لم أتناول كفايتي من الطعام اليوم. كما أنني تأخرت في السهر ليلة البارحة».

أخذ كل من سامبسا وتينكا يتبادلان النظرات، وبدا على أليكسي الارتياح، بينما عبست تينكا وأخذت تنظر إلى لوميكي عن كثب، وأخيراً قالت:

«حسناً، قد تحدث مثل هذه الأمور في بعض الأحيان، ويبدو عليك التحسن الآن».

تمنت لوميكي ألا يكون أحد منهم قد لاحظ أن ساقيها كانتا ترتجفان. أخذ سامبسا يفرك ظهرها بحنان بلمسات لها تأثير مهدئ، فرغبت لوميكي بأن تميل نحوه وأن تسمح له بمساندتها، إلا أن الوقت لم يكن مناسباً لذلك.

هتفت تينكا: «لننهِ العمل هنا بالنسبة لليوم».

ردت لوميكي: «أخالها فكرة جيدة بما أنه من المفترض أن ينتهي المشهد عندما أقوم بفك الأشرطة عني، ثم أهرب إلى الغابة. وأعتقد أننا خرجنا عن النص المكتوب قليلاً».

وهكذا، تمكنت لوميكي من إضحاك الآخرين، عظيم!

هتفت تينكا: «ارتـدوا ملابس العرض خلال التدريب على المسرحية بعد يومين من الآن. واسمعوا جميعاً، ستكون هذه المسرحية مبهرة! أشكركم على كل ما بذلتموه من جهد».

كانت طاقة تينكا تكفي لتشعر الجميع بالحماسة، وهكذا ملأت أصوات المتحدثين المدرج، وهنا لكز أليكسي كتف لوميكي برفق وهمس:

«آسف».

ردت لوميكي: «لا داعي لذلك».

فهمس سامبسا في أذن لوميكي: «والآن، سأوصلك إلى البيت وسأدللك».

غير أن لوميكي حررت نفسها من ذراعيه بحذر، ثم قالت:

«يبدو هذا رائعاً. لكن علي أن أذهب لأرى والديّ الليلة».

حاولت لوميكي أن تنظر إلى عيني سامبسا؛ بالرغم من أن ذلك كان صعباً عليها.

سألها سامبسا: «أيجب أن تفعلي هذا الليلة؟».

فردت عليه: «حسناً، إن أسرتي تحيي تقليد يوم لوسيا». وكانت تلك هي الكذبة الثانية، أو لعلها لم تكن كذلك بطريقة ما.

فبالرغم من أن أباها أعلن أنهم لن يحتفلوا بهذه المناسبة، إلا أن أحد أبناء عمومته أخذ ينظم حفلات لإحياء ذلك اليوم في توركو خلال السنوات القليلة الماضية. وهكذا كانت لوميكي تعلم أن أبويها كانا سيحضران ذلك الاحتفال في ذلك اليوم، ولن يتواجدا في البيت حتى صباح اليوم التالي، لذا كان لديها متسع من الوقت لتقوم بالنظر

إلى محتويات الصندوق.

بدت خيبة الأمل على وجه سامبسا، ولهذا كان تحمل مدى تعاسته ونظراته القلقة بعض الشيء أمراً بغاية الصعوبة بالنسبة للوميكي، لكن لم يكن أمامها أي خيار آخر، إذ كان عليها أن تصل إلى بعض الإجابات تلك الليلة، وإلا فستفقد عقلها.

وحينما لامست شفتاها شفتيه، حاولت ألا تفكر بأنها قبلة يهوذا(*).

(*) قبلة قائمة على الكذب والخداع. (المترجمة)

13

أحست بالذنب لوجودها في البيت بغياب والديها، وبسبب ذلك أصبح حتى لوقع خطواتها صدى غريب.

كان ذلك الصدى يهمس لها: الفتاة الخطأ في البيت الخطأ، بل إنه شبح لفتاة يجب عليها ألا تتسلل إلى تلك الغرف بمفردها.

كان والدا لوميكي لا بد أن يسمحا لها بالدخول إن طلبت منهما ذلك، ولكنها لم تكن ترغب بأن يعرفا بالأمر، إذ لم تكن تريد أن يطرحا عليها المزيد من الأسئلة التي يمكن أن تدفعها للمزيد من الكذب، لأن لوميكي لم تكن تريد أن تتحول إلى تلك البنت التي تكذب على أحبائها، إلا أن الشخص الذي يتعقبها أجبرها على ذلك بسبب تهديداته.

تمنت لوميكي أن يتركها ذلك «الظل» وشأنها حينما تكشف السر أخيراً. ولكن، ماذا لو كان ذلك الشبح مهووساً بفكرة أنه يعرف أموراً لا تعرفها لوميكي؟ وماذا لو كان أهم شيء بالنسبة له هو كشف الحقيقة؟

عند ذلك، أسكتت لوميكي ذلك الصوت الداخلي الذي حاول أن يهمس لها بأن كل هذا الجنون الذي يتملكها لن يشبعه شيء في غاية البساطة.

كانت رائحة غرفة نوم والديها كما عهدتها دوماً، إذ كانت في ذاكرتها تفوح برائحة الخزامى، وبرائحة الملاءات الجديدة النظيفة، مع مسحة خفيفة من رائحة تراب نباتات الزينة، وكريم ما بعد الحلاقة الذي يستعمله والدها، وكذلك رائحة الستائر ذات الشرائط القديمة التي تعود لجدتها. رفعت لوميكي إحدى زوايا مفرش السرير الذي كان يصل إلى الأرض، وأخذت تختلس النظر لما هو موجود تحته. كان الصندوق حسبما تتذكر موجوداً في ذلك المكان على الأرض. زحفت لوميكي تحت السرير، فوجدت الغبار يغطي الأرضية، إذ يبدو أن والدها الآن لم يعد يكنس الغرفة بشكل جنوني كما كان يفعل عادة حينما كانت لوميكي تعيش معهما في البيت، وذلك أفضل بالنسبة له.

رفعت لوميكي الغطاء، وفجأة أخذ قلبها يدق بسرعة مخيفة، وأصبحت يداها باردتين ورطبتين بشكل غريب. إلا أن كل ما وجدته تحت الغطاء كان مجرد علبة كرتونية عادية، وليس صندوقاً مزخرفاً، بل كانت مجرد علبة كرتونية بنية مليئة بالمجلات الإباحية.

دفعت لوميكي العلبة وأعادتها إلى مكانها ثم غطتها، إذ كانت تحتوي على أسرار، لكنها ليست الأسرار التي كانت لوميكي تبحث عنها. ثم إن حياة والديها الخاصة ليست من شأنها قطعاً، ولذلك تمنت لو أنها لم تصل حتى لهذا الاكتشاف البريء إلى حد ما.

زحفت لوميكي لتخرج من تحت السرير، ثم أخذت تسعل وتزيل الغبار عن بنطالها الجينز عند ركبتيه. بعدها أحست بخيبة الأمل، وبالفراغ، وأخذت تسأل نفسها: هل كل ما تذكرته لم يكن صحيحاً؟ أم أنني تخيلت وجود الصندوق تخيلاً؟ وماذا لو كنت أفكر

كثيراً بأمر الحصول على المفتاح الذي أقنعت نفسي بوجود صندوق له مزود بقفل حيث يمكن لهذا المفتاح أن يفتحه؟

كلا، لا يمكن أن يكون الأمر كذلك، ولم تكن لوميكي لتتقبل هذا.

أين يمكن لوالديها أن يخفيا صندوقاً لا يريدان لأي أحد أن يكتشفه؟

أخذت لوميكي تفتش في الخزائن، وفي غرفة الجلوس، وفي الردهة، وفي القبو، وفي الغرفة الصغيرة الموجودة في الحديقة الخلفية، فلم تجد أي صندوق أو ما يدل على وجوده. كان المساء قد تحول إلى ليل، وعندها بدأ الأمل يتحول إلى إحباط قاتم.

فكري... فكري... أخذت لوميكي تحث نفسها على القيام بذلك حينما جلست فوق الأريكة الموجودة في غرفة الجلوس، ثم بدأت تفرك صدغيها في محاولة منها لطرد بدايات الصداع. بعدها، أخرجت المفتاح من جيبها وحملته في راحتها.

أيها المفتاح الصغير الموجود في يدي: أخبرني أين يختبئ القفل الخاص بك؟ أرشدني إلى الصندوق الذي أبحث عنه.

إلا أن المفتاح بقي مجرد ثقل جامد في يدها، إذ لم يكن لديه أي جواب.

«قد يكون ما تبحث عنه أقرب مما تتصور في بعض الأحيان». لطالما كانت لوميكي تكره تلك الأفكار «العميقة»، إلا أن كل ما سمعته حينها هو تلك الأفكار التي أخذت تتردد بشكل رتيب داخل رأسها. أقرب أين؟ تحت الطرف الخلفي؟ حقاً!

وقبل أن تتمكن لوميكي من التفكير برد سريع وساخر، بدأت تبعد الوسائد الموجودة على المقعد، ثم فتحت صندوق الأريكة.

وهناك وجدت الصندوق.

كان الصندوق الذي يعتبر جزءاً من الأريكة يقع تحت الوسائد، وداخل ذلك الصندوق ثمة مساحة صغيرة تتسع لصندوق مسطح يمكن أن يضع المرء فيه ملاءات مع غطاء للسرير، غير أنها وجدت هناك الصندوق الخشبي الذي تعرفه.

رفعت لوميكي الصندوق بيدين لزجتين بفعل التعرق الغزير، ولم تضع وقتاً في الانبهار بالزخارف التي تزينه من الخارج لأن محتوياته كانت أهم شيء بالنسبة لها، لكن بالكاد كان يمكنها أن تمسك بالمفتاح الذي أدارته بمشقة داخل القفل، وكان عليها أن تعالجه إلى أن فتح القفل أخيراً.

لم تكن تدري ما الذي كانت تتوقع العثور عليه، ولم يكن بوسعها أن تعبر عما كانت تصدق أو تتمنى وجوده داخل الصندوق. وفجأة، وجدت لوميكي أمامها طفولة لم تتذكر أنها عاشتها.

كانت هنالك صور لفتاة شقراء ذات عينين رماديتين تشبهها، ولكن ليس كثيراً، إذ كانت تلك البنت تشبه أباها وأمها، وأيضاً ليس كثيراً. إنها روزا... روزا... روزا... روزا... شقيقتها روزا. حينما رأت لوميكي الصور، تذكرت فجأة رائحة شقيقتها وطريقة تنفسها أثناء النوم، وكيف كانت تحتضن لوميكي بذراعيها، بل أحياناً كانت تضغط عليها بعض الشيء أيضاً. تذكرت ضحكة روزا وقهقهتها، وسورات غضبها الهائجة، وغناءها الذي يشبه صوت العندليب.

كانت هنالك صورة لفتاتين، إحداهما أقصر من الأخرى وذات شعر بني اللون، إنها لوميكي. كانتا تجلسان جنباً إلى جنب. وكانت هناك صورة أخرى لهما وهما تخوضان في بحيرة، وصورة وهما تركضان، وصورة وهما ترقصان تحت رشاش للماء.

إلا أن لوميكي لم تعد تنظر إلى الصور بعد ذلك.

لأن الذكريات اجتاحت جميع حواسها فجأة.

حبات فراولة في الصيف، أعطتها روزا أكبر الحبات وأكثرها احمراراً. كانت علية الجدة تعبق دوماً بروائح الخريف، حتى في الصيف. حذاء الجدة العتيق الذي كان كبيراً جداً على أرجلهما، إذ كانت كل منهما تضع رجلها داخل الفردة ذاتها، لذا كان من المستحيل أن تسيرا دون أن تسقطا أرضاً. كان شعر روزا يتشابك بسهولة، بينما لم يكن شعر لوميكي كذلك. كانت روزا تمشط شعرها مئة مرة ثم تعقب ذلك بمئة أخرى. كانت حبات المطر تطرق على زجاج النافذة، لذلك بنيتا حصناً تحت الغطاء كان لونه برتقالياً أكثر من البرتقال. وحينما كان يعرض الجزء المخيف من برنامجهما التلفزيوني المفضل، كانت روزا تضع يديها على عيني لوميكي وتهمس لها بأنها مجرد حكاية. كانت رائحة شجيرات الورد تدوخهما، لكن أشواكها كانت تخزهما. لم يفهم الكبار يوماً ما هي أفضل الألعاب، ففي بعض الأحيان يجب عليك أن تبلل كامل أرضية غرفتك، في محاكاة للبحر. كانت هنالك بقايا ملح على وجنتي روزا لأنها كانت تبكي، ولذلك أخذت لوميكي تلعق الملح عن تينك الوجنتين كما لو أنها هرة، ثم أمسكت كل منهما بيد الأخرى وقررتا ألا تفترقا، وأن تنتقلا إلى البيت ذاته، وأن تناما

دوماً في الغرفة نفسها، لتكونا بيضاء الثلج وحمراء الورد. وإن رأت إحداهما كوابيس أثناء نومها، فعندها ستنامان في السرير ذاته، جنباً إلى جنب، بكل دفء وحرارة، حيث تتنفسان معاً، وهكذا لن تؤذيهما الكوابيس إن نامتا متلاصقتين.

لم تلاحظ لوميكي كم مر من الوقت حينما أدركت فجأة أنها أصبحت في الثامنة عشرة من العمر، وأنها كانت تجلس فوق أرضية غرفة المعيشة في بيت أهلها وتحيط بها تلك الصور، بل عشرات الصور التي كانت متناثرة حولها، والتي غطت الأرضية، وكأن هناك سماء أخرى فوقها، وأخذت رقائق ثلج ملونة ومستطيلة الشكل تهطل منها. لم تعد لوميكي في الثالثة من عمرها بعد ذلك، كما لم تكن تمسك بيد أختها الكبرى روزا.

شعرت لوميكي وكأن موجة عظيمة قد غمرتها، فأزالت السقف والأرضية والجدران بعيداً عنها. ثم دفعتها مياه الفيضان إلى وسط خواء مظلم. لم يعد هنالك أي أمان في أي مكان، حتى عند الأساسات المتينة، إذ تحول كل شيء كانت تصدقه وتثق به إلى كذبة، إلى ظلمة حالكة. كانت قد عاشت حياتها إلى أن بلغت ذلك العمر، لتكتشف الآن أنها عادت طفلة وحيدة.

كيف يمكن انتزاع شقيقة من المرء؟ وكيف تمكنا من إخفاء أمر وجود روزا؟ ولمَ قاما بذلك؟ وما الذي حدث لها؟

نهضت لوميكي ثم وقفت، ولكن كان عليها أن تستند إلى طرف الأريكة لتمنع نفسها من السقوط، إذ كانت تشعر أنها على وشك الإغماء، وأحست برغبة بالتقيؤ، كما أحست برغبة بالبكاء، ولم تعد

قدماها قادرتين على حملها. ثم أخذت تتلمس طاولة غرفة الجلوس بحثاً عن هاتفها، إذ عليها أن تتصل بوالديها الآن. لم يعد الوقت يهمها، كما لم يعد يهمها إن كانا قد خلدا إلى النوم في ذلك الوقت، لأنهما كذبا عليها وخدعاها. لا يمكن للمرء أن يفعل شيئاً كهذا بشخص يحبه، أم يمكن ذلك؟ ولكن، كيف تمكّنا من إخفاء شيء عظيم إلى هذه الدرجة عنها طيلة حياتها؟

كان على لوميكي أن تسألهما.

والآن.

كان عليها أن تعرف ما الذي حدث لروزا. وفي تلك اللحظة بالذات، تدفقت بضع رسائل نصية إلى هاتفها، فأخذت لوميكي تفكر بالمرسل قبل أن تقرأ تلك الرسائل.

إنني أراك، فها أنت تقفين وأنت تحملين هاتفك بيدك، ولكن لا تقومي بإجراء تلك المكالمة.

إنك لا ترغبين بأن يتناثر الدم على الجدران أثناء تأديتك دور البطولة في ليلة الافتتاح. إذ سيكون هنالك من الدم ما يكفي ليغطي كل المقاعد. كما أنك لا تريدين لحبيبك اللطيف والغبي أن يسقط وهو يحدق بعينين جامدتين وسط الصفوف المحيطة به.

ثم إنك تعرفين أن إلغاء العرض لن يفيدكم بشيء؛ لأنني سأظل قادراً على إيجادكم جميعاً، وسأتصرف وفقاً للنص المكتوب الخاص بي. تبدين جميلة الآن، وذلك لأن الشخص الذي يدرك الحقيقة يصبح جميلاً على الدوام.

هرعت لوميكي لتطفئ أنوار غرفة المعيشة؛ بالرغم من أنها كانت تعرف أن ذلك لن يفيدها في شيء.

ثم وقفت بلا حراك داخل الغرفة المظلمة، وأخذت تحدق بالحديقة، وتحاول أن ترى فيها شيئاً معيناً، إلا أنها لم ترَ غير الظلام.

سمحت لوميكي ليدها التي كانت تمسك بالهاتف بأن تهوي وتتعلق بشكل مترنح بأحد جانبيها، وذلك لأنها كانت تعرف أنها لن تتمكن من إجراء تلك المكالمة.

إن المعرفة جميلة وقاسية، يا عزيزتي لوميكي. فبالمعرفة يمكنك أن تفعلي أي شيء، والمعرفة ترشدنا للعمل والإيمان والثقة، كما تمنحنا قوة حقيقية.

إن كنت تعرفين الأشخاص المناسبين، فعندها يمكنك أن تحصلي على المزيد من المعلومات دوماً، وأن تجدي ما تبحثين عنه بالضبط. وإنني أعرف الكثير عنك لأنني رغبت بأن أعرف؛ إذ خلال تعطشي للمعرفة كنت ذلك الشخص الذي لا يشرب ما يرويه فقط، كما كنت أعرف كيف أطرح السؤال المناسب على الشخص المناسب، وهكذا اكتشفت أساليب للتوصل إلى أي شيء يحاول أي شخص أن يحتفظ به سراً.

إذاً، لا يمكن لأي شيء أن يتحول إلى سر إن أصبحت متعطشة للمعرفة مثلي.

ثم إن الناس يبدون دائماً استعداداً للقيام باستثناءات، وذلك حينما تقنعيهم بأن هنالك سبباً للمشاركة. وقد يحتاج الأمر إلى المال في بعض الأحيان، أو قد يتطلب أشكالاً أخرى من الدفع والبذل، فليس المال ضرورياً عادة، وذلك لأن الناس يرغبون بإطلاع الآخرين على ما يعرفونه، بل حتى على أكثر أسرارهم سرية، وإن ذلك يجري في

عروقهم مجرى الدم.

لقد تحليت بالصبر وأنا أجمع معلومات عنك، معلومة إثر أخرى، ولم أندفع يوماً؛ لأنني كنت أعرف أن لدي الوقت الكافي، وحينما يحين الوقت المناسب ستكونين مستعدة لتقبل ما اكتشفته.

إن المعرفة قوة

والحقيقة جميلة

وسأجعلك أشد قوة وأكثر جمالاً من أي كان.

الخميس، 14 كانون الأول

14

سيري في النور دوماً يا لوميكي.

كانت تلك هي الكلمات الأخيرة التي قالتها جدة لوميكي لها، إذ كان مرض سرطان البنكرياس قد أودى بحياة جدتها قبل خمس سنوات. وقد زارت لوميكي جدتها في المشفى، وانحنت نحوها حيث تمكنت الجدة من أن تلمس خد لوميكي بيدها المتغضنة والخشنة. كانت الجدة قد ترملت في سن مبكرة، حيث تركها زوجها لتربي أربعة أطفال وحدها. وكانت لوميكي تحب جدتها، ولم تشك بحبها لها ولو قليلاً، إذ كان أهل أبيها بعيدين عنها، حيث كانوا يعيشون في أولاند، فكانت لوميكي لا ترى جدها وجدتها لأبيها إلا قليلاً.

ولكن، كيف أخفت حتى جدتها عنها أمر شقيقتها؟ أحست لوميكي وكأنها قد أدخلت عنوة إلى واقع مزيف؛ حيث كان الجميع حولها يتآمرون عليها. أكانت الكاميرا الخفية؟ أم أنها مسرحية كبيرة؟ أم تراه برنامج تلفزيون الواقع ولكنهم قاموا بكتابة نص له؟ غير أن لوميكي كانت الوحيدة التي لا تعرف عن الأمر شيئاً.

سيري في النور دوماً.

خطر ببال لوميكي كلام جدتها بينما كانت تسير متجاوزة الساحة المركزية باتجاه بيتها بعد المدرسة. كانت الزينة مختلفة

الأشكال قد أغرقت كامل الشارع بنور ساطع أصفر وذهبي اللون، حيث أتى بعضها على شكل زهرة، أو رقاقة ثلج، كما كانت جدائل من المصابيح تلف جذوع الأشجار والأغصان وواجهات المحال التجارية، حيث كانت تجعل المرء ينسى أنه إن قطعت الكهرباء فجأة عن المدينة يوماً ما، فلا بد للناس أن يتجولوا تحت جنح ظلمة مطبقة وتامة. فحينما يتواجد ما يكفي من النور، ينسى الإنسان أمر العتمة. وهنا أخذت لوميكي تسأل نفسها إن كان ذلك قد خطر ببال جدتها يوماً، وأنها إن ملأت حياة لوميكي بما يكفيها من النور والبهجة، فلا بد لمأساة الأمس أن تختفي.

لأنه ثمة مأساة في ماضيها، وهذا ما أدركته لوميكي في ذلك الحين بعد رؤية الصور. وهكذا، يمكن فقط لمأساة كبيرة أن تعلل ولو بشكل جزئي الحقيقة التي لا يمكن لأحد أن يصدقها وهي أنهم أخفوا أمر شقيقتها عنها.

لم تنم لوميكي ولو للحظة خلال الليلة الماضية، إذ بعد الرسائل النصية التي أرسلها لها الشخص الذي كان يتعقبها، أطفأت لوميكي الأنوار، وأغلقت جميع الستائر، وبحثت عن سكين حادة في المطبخ، ثم تكورت في زاوية الأريكة وأخذت تحدق أمامها. كانت تصغي بأشد حذر عرفته في حياتها في تلك المرة، ولهذا كانت تثب من مكانها مع كل عصفة ريح، ومع كل صرير في المنزل، بل حتى مع كل طرقة من طرقات حبات المطر المتجمدة على النوافذ. وكل ما كان يخيفها هو أن تموت بسبب ذلك؛ إذ كانت ترغب بالاتصال بسامبسا أو ببليز أو بوالديها أو بالشرطة، لكن لم يكن بوسعها القيام بذلك.

إذ إن الشخص الذي يتعقبها قد أوثق يديها وتركها مشلولة الحركة، وسلب منها أي مجال للتحرك أو التنفس.

ومع حلول الليل ببطء، حاولت لوميكي أن تفكر بهوية ذلك الشخص الذي كان يتعقبها، لكنها لم تتوصل إلى جواب شافٍ ولو بشكل تقريبي. أكان شخصاً معتوهاً؟ أهو رجل مجنون؟ ولكن، من هو ذلك الشخص الذي يمكنه أن يطلع على كل تلك الأمور؟ من الذي تمكن من الاطلاع على أمر الصندوق والصور والمفتاح؟ من هم الأشخاص الذين وقع ذلك المفتاح بأيديهم؟ والداها بكل تأكيد، ولكن بالرغم من أنها بدأت تشك كثيراً بمحبتهما لها، غير أنها لم تستطع أن تصدق أنهما يمكن أن يكونا من يقف وراء هذا النوع من المضايقات. كلا، لا يمكن أن يكونا وراء ذلك.

إلا أن لوميكي لم تكن قادرة تماماً على التركيز على هوية الشخص الذي كان يتعقبها، وذلك لأنها كانت غارقة في التفكير بما حدث لروزا؛ إذ شعرت بأن ذلك أهم من أي شيء آخر، ويجب عليها أن تصل إلى إجابة شافية حول ذلك قبل أن تنتقل للتفكير ببقية الأمور.

كان الشخص الذي يتعقبها قد منحها ذلك المفتاح، ولكنه ترك القفل الأكبر مغلقاً، وكانت لوميكي تعرف أنها كانت تحت رحمته، كما كانت متأكدة من أنه من يملك الإجابة عن ذلك.

حينما ألقى الصباح أخيراً خيوطه الواهنة الرمادية الأولى لشمس كانون الأول فوق نصف الكرة الشمالي للأرض، زحفت لوميكي مبتعدة عن الأريكة بعدما أصاب الخدر ذراعيها وساقيها، وكانت على وشك الإغماء. ثم أعادت السكين إلى المطبخ، وبعدها أزالت كل

أثر يدل على وجودها في البيت. كانت تقوم بكل حركة بشكل آلي. ففي بعض الأحيان، يتعين على المرء أن يعمل بجهاز التحكم الآلي، وذلك حينما تعوزه القوة ومصادرها والتي تدفعه للقيام بأي شيء كان.

فقط قومي بما يتعين عليك القيام به، واستبعدي أي شيء آخر.

ركبت لوميكي قطار الصباح لتصل إلى تامبيري، ونزلت عند شقتها لتبدل ثيابها، ولتشرب فنجان قهوة على عجل، ثم توجهت إلى المدرسة سيراً على الأقدام. وهكذا، سارت الأمور والحياة بشكل طبيعي، وكأن كل شيء كان يتم حسب ما هو معتاد. كان جميع الناس حولها يعيشون حياتهم، ويهرعون إلى أعمالهم أو مدارسهم، وهنا أحست لوميكي وكأنها كانت تراقبهم من خلف الزجاج، بل كان ذلك زجاج تابوتها، أي أن ذلك التابوت كان موجوداً ولكن ليس تماماً.

في قديم الزمان، كانت هنالك فتاة لم تكن.

روزا، تلك الفتاة التي مسحت ذكراها. لوميكي، تلك التي كانت تسير وتتنفس وكان ينبغي لها أن تبدو كإنسانة حية؛ بالرغم من أن كل ما كانت تحس به في داخلها هو الظلمة، وهكذا كانت مجرد هيكل لإنسان.

وفي المدرسة، كان أول شخص صادفته لوميكي هو أستاذ علم النفس هينريك فيرتا، والذي أخذ ينظر إليها بقلق، ثم سألها:

«هل أنت مريضة؟».

فردت عليه: «إنها مجرد إحدى نوبات الكآبة التي يسببها فصل الشتاء».

فقال لها هينريك وهو يبتسم ابتسامة دافئة: «خلال هذا الوقت

من السنة عليك أن تتأكدي من أنك تحصلين على كفايتك من النوم أثناء الليل».

كانت طاقة لوميكي تكفيها فقط لتومئ له إيجاباً. وبعد ذلك، رأت سامبسا الذي أبدى قلقاً أكبر بسبب التعب البادي عليها، فكذبت عليه لوميكي بالقول: «كل ما هنالك أنني سهرت مع أهلي». عندها، بدأت تحس بأنها إن تفوهت بكذبة أخرى فسوف تتقيأ كل ما في جوفها.

رد عليها سامبسا وهو يضحك: «إنكم عشاق حفلات مجانين من أصول فنلندية-سويدية».

كان ذلك ما أدى إلى وقوع شجار بينهما إلى حد ما؛ إذ انزعجت لوميكي مما قاله سامبسا، ومن ابتسامته ونبرة صوته وكل شيء آخر، وقد جن جنونها حينما قال لها إنه سينتظرها في المكتبة بعد المدرسة حتى يعودا إلى بيتها معاً سيراً على الأقدام، وهكذا ردت عليه بالقول:

«إنني متعبة للغاية، لذا كل ما أريد فعله بعد المدرسة هو أن آخذ قيلولتي المجنونة ذات الأصول الفنلندية-السويدية لوحدي في شقتي المجنونة التي تعود لأصول فنلندية-سويدية».

رد عليها سامبسا بهدوء: «وعدتك بأن أكون هادئاً وألا أضايقك».

قالت له: «كلا، فأنا أريد أن أبقى بمفردي الليلة».

قال لها: «أصبحت ترغبين بأن تبقي بمفردك كثيراً خلال الفترة الأخيرة».

ردت عليه: «هذه أنا، وأنت تعرف عني ذلك منذ أن بدأت علاقتنا».

صارحها: «أحس في بعض الأحيان بأنني لست مهماً في حياتك».

وهنا لمحت لوميكي الحزن في نظرته. كان ذلك سيجرحها في ظل ظروف أخرى مختلفة، أما في اليوم فلم تكن مستعدة لذلك؛ إذ كانت متعبة وقلقة للغاية، وكانت تشعر بأنها مرهقة لدرجة بات معها الحزن الذي أبداه سامبسا موضع شك.

ولكن، ما الذي كان بوسع لوميكي أن تقوله بعد ذلك؟

لا أريدك أن تبقى معي لأن كل كلمة أقولها لك مجرد كذبة؟ إنني أكذب عليك لأحمي نفسي، لكنني اكتشفت اليوم أنني لم أعد أحتمل أن أقوم بذلك بعد الآن؟ ثم لا يمكنك أن تنقذني، لا أنت ولا أي أحد غيرك.

أمضت لوميكي يومها المدرسي داخل غيمة من الضباب الأسود الذي لا يمكن لأحد أن يخترقه. أما الآن، فها هي تجتاز الجسر فوق المنحدرات النهرية وسط المدينة تحت الزينة. لطالما كانت لوميكي ترى أن هذا القسم كان الأجمل خلال فترة الكريسمس بفضل الأنوار، والخيول المزينة التي تضرب بحوافرها، ويسمع كل الناس صوت صهيلها.

سيري في النور دوماً.

لم تكن لتخرج من الظلمة حتى تعرف كل شيء.

قررت لوميكي أنه قد حان الوقت المناسب لتتواصل بنفسها مع الشخص الذي كان يتعقبها للمرة الأولى، فأخرجت هاتفها من جيبها، وأرسلت رسالة نصية إلى الرقم الذي كان ذلك الشخص يستخدمه، حيث كتبت له فيها:

أريد أن ألتقيك.

تمنت لوميكي أن تكون تلك الرسالة بمثابة دعوة ملحة ليحضر ذلك الشبح. فإذا كانت قد عرفت أي شيء حول طريقة تفكير ذلك الشخص، فأغلب ظنها أنه لن يقاوم إغراء تلك الدعوة.

كانت لوميكي تعرف أنها تلعب لعبة خطيرة، لكن كان يجب عليها أن تكتشف من كان وراء كل ذلك.

كانت هناك مفاجأة تنتظرها عند باب بيتها، لقد كان سامبسا هناك، إذ كان يجلس على الدرج وبجانبه سلة للرحلات.

قال لها: «سأغادر إن أردت، ولكنني اعتقدت أنك ستتحسنين إن جلبت لك بعض الطعام وقمت بتدليك رقبتك».

بدا سامبسا في غاية اللطف والهدوء بقبعته الخضراء الفاتحة الكبيرة، وعينيه المفعمتين بالأمل، لدرجة أن لوميكي اعتقدت أن قلبها يكاد أن ينفطر؛ إذ ما الذي فعلته كي تستحق كل هذا الحب الذي لا يتزعزع والمبني على الإيثار؟

سألته لوميكي: «هل تعتقد بالفعل أنك ستأخذني في رحلة في شهر كانون الأول؟».

رد عليها: «بالطبع. إذ لدي بطانية وكل ما يلزم للرحلة. وإذا كانت شقتك صغيرة، فثمة مساحة واسعة على الأرض».

ثم ابتسم لها، وشد ياقة معطفه الرجالي، فقبلته لوميكي قبلة طويلة مفعمة بالحنان، وذلك لأن سامبسا كان يستحق ذلك في تلك اللحظة أكثر من أي شخص آخر على وجه الأرض.

وفي الداخل، قام سامبسا بفرش البطانية على الأرضية، ثم شرع بإخراج الخبز الفرنسي والجبن الطازج والزبيب وكعكات الشوكولا،

وبعدها قام بتشغيل ألبوم بعنوان: أسود يحتوي على أغانٍ شعبية حديثة للمطربة سنا كوركي-سونيو، ثم دعا لوميكي للجلوس أرضاً، وقدم لها الخبز مع الجبن، كما صب لها كأساً من الشراب، ثم وضع يديه على كتفيها وهمس في أذنها:

«والآن ما عليك سوى أن تستمتعي». فأغمضت لوميكي عينيها. وقد كان سامبسا في غاية الروعة واللطف، لدرجة باتت معها لوميكي تخاف أن تنفجر باكية فجأة.

إنني أعرف، أجل أعرف الريح والهدوء.
أرى شبحاً بعيداً بعيداً.
إلى أين، إلى أين سأذهب بمفردي
أين... أين سأبحث عما تبقى مني؟
لا أستطيع... لا أستطيع أن أغوص في الأرض،
فلن يواجهني سوى المرض... سوى المرض في البداية
لن أنزلق نحو المستنقع... نحو المستنقع،
إلا عندما يلمس الموت... الموت شفتي.
سأنام، سأنام، لكن الحياة لن تضنيني
وسأشرب.. سأشرب، لكن دون عطش.

إيقاع كلمات تلك الأغنية، ولمسة سامبسا الناعمة، والدفء الذي بعثه الشراب في عروقها، كل ذلك معاً ولّد أجواء تشبه عالم القصص الخيالية الناعم والرقيق حول لوميكي. فما الذي سيحدث لو بقيت في ذلك المكان ونسيت كل شيء آخر ولو للحظة؟

كان تدليك سامبسا رائعاً، غير أن لوميكي لم تستطع إلا أن تفكر باليدين الأخريين اللتين جعلتا بشرتها تتحفز بطريقة مختلفة تماماً، حيث بدأتا ترسلان رعشات المتعة عبر كامل جسدها وذلك بفعل بضع لمسات خفيفة. بليز... أخذت تفكر ببليز بالرغم من أنه كان آخر شخص يجب عليها أن تفكر فيه، إذ كان في ذلك ظلم وإجحاف بحق سامبسا.

وفي تلك اللحظة بالذات، سمعت رنين هاتفها الذي أعلن عن استلامها رسالة نصية، فأمسكت به، غير أن سامبسا أخذ يترجاها بالقول: «لا تنظري إليه الآن».

فردت عليه وهي تمسك بالهاتف بقوة: «إنني مضطرة لذلك».

عند ذلك، انزلقت يدا سامبسا عن كتفيها. كانت الغيوم الناعمة قد تبددت، وبدأ قلب لوميكي يخفق بقوة لدرجة أنها كانت تسمع خفقه في أذنيها، وذلك بفعل الرعب والرجاء على حد سواء. غير أن الرسالة التي وصلتها لم تكن من الشخص الذي كان يتعقبها، بل كانت من بليز، وقد جاء فيها:

أفكر فيك طيلة الوقت، حيث تكونين أول من أفكر فيه في الصباح، وآخر من أفكر فيه في الليل، وطيلة الوقت بينهما. ما زلت أحبك، وسأبقى أحبك دوماً.

وهنا، أحست لوميكي بأن خديها قد توردا. فهل كان بينهما ذلك الرابط المتين الذي يجعل بليز يحس بها إن فكرت به؟ عند ذلك، نهضت لوميكي وتوجهت نحو المطبخ.

سألها سامبسا: «مَن أرسل لك تلك الرسالة؟».

فردت عليه بالقول: «إنها أمي. لقد نسيت بالصدفة قميصاً في بيت أهلي». كذبة، كذبة، كذبة، كذبة، إنها كذبة أخرى.

وفوراً، فتحت لوميكي درج المطبخ حيث كانت تحتفظ بالدبوس المزخرف الذي يحمل شكل تنين والذي كان بليز قد أعطاها إياه، فرفعته إليها، وبدأت أناملها تتلمس حراشفه الدقيقة، وأخذت تتمنى لو أنها تستطيع أن تعلقه على ياقة معطفها وتحس بالفخر عند ذلك. ولكن، لماذا لا تسير حياتها بتلك البساطة؟

سمعت لوميكي سامبسا وهو ينهض من حيث كان يجلس على البطانية، فأخفت الدبوس في جيبها بسرعة، ثم مسحت الرسالة التي وصلتها من بليز. كان يتعين عليها أن تمسح رقمه من هاتفها بشكل نهائي، ولكنها لم تستطع أن تفعل ذلك في تلك اللحظة.

تعال يا صديقي
أرشدني إلى مكان
ترتاده الأفاعي والعقارب.

تعال يا صديقي
أرشدني إلى مكان
يمكن للأشواك أن تمزقنا فيه إرباً.

تعال يا صديقي
أرشدني لأضل الطريق
لأن ذلك هو المكان الذي أريد أن أذهب إليه، فأنا أريد أن أضل طريقي

كان صوت سنا كوركي-سونيو يسيطر على تفكيرها.

سألت سامبسا: «هل بإمكاننا أن نوقف الموسيقى؟».

رد عليها: «بالطبع. ولكن، ما الذي تريدين أن تفعليه؟».

ردت عليه لوميكي من دون أن تنظر إلى عينيه وهي تتجه نحو السرير: «أريد أن أنام».

إذ أصبحت فجأة متعبة جداً لدرجة لم تعد تستطيع معها أن تبقى واقفة، ثم رمت بنفسها على السرير بملابسها، وتدثرت بالبطانية التي لفتها حول نفسها ثم غطت بالنوم فوراً.

لم تدرك لوميكي مباشرة ما الذي أيقظها، فنظرت إلى جانبها، وإذا بها ترى سامبسا مستلقياً ونائماً على ما يبدو، فاستندت إلى مرفقيها وأخذت تنظر حولها، لتجد أن سامبسا كان قد أعاد الأشياء التي حضّرها من أجل الرحلة إلى مكانها، كما كان قد طوى البطانية، فعرفت أنها نامت بعمق شديد لدرجة أنها لم تسمع أي حركة من كل ذلك.

غير أنها لم تعرف لاستيقاظها سبباً حتى نظرت إلى هاتفها لتعرف الوقت، فعندها أدركت أن رسالة نصية وصلت إلى هاتفها هي التي أيقظتها من نومها. كانت الساعة العاشرة والربع مساء، وكان المرسل هذه المرة هو الشخص الذي يتعقبها، حيث قال لها فيها:

تعالي إلى ساراكانيمي. فهل هناك مكان أفضل من مدينة الملاهي لنلتقي فيه؟ وسأخبرك بكل شيء هناك.

أراقبك في معظم الأحيان، حتى إن لم أكن أراك بالفعل، إذ لدي مكان خاص لذلك الغرض، كما أن عندي صوراً لك كنت قد التقطتها سراً، وإنك تبدين بغاية الجمال والتأمل في تلك الصور، وذلك لأنك خلت أنه لا يمكن لأحد أن يراك كذلك. ولقد علقت تلك الصور على جدران غرفتي السرية، وهكذا أقوم بالمسح على جبينك بإصبعي أحياناً، كما ألمس حافة شفتك السفلى المكتنزة وأفكر بطعمها إن قمت بتقبيلها.

كما احتفظت بسائر المقالات التي كتبت في الجرائد عنك، ولدي الكثير من الأوراق والوثائق التي لا تعرفين بوجودها أصلاً، فقد قمت بإعداد جدول زمني لحياتك على أحد الجدران، وقد حدثت لك الكثير من الأمور التي وردت فيه.

هل ظننت أنك أضعت ذلك القفاز البرتقالي الذي يخصك؟ إنه عندي، إلى جانب القلم الفضي، والزر الذي سقط من قميصك الأبيض، إنها كنوز صغيرة أقوم بمداعبتها، وذلك لأنني لا أستطيع مداعبتك.

أحياناً أدخل «غرفة حبيبتي لوميكي» حاملاً الشموع، وأتحدث إليك، ثم أراقب كيف يقوم لهيب نار الشموع بجعل خديك أحمرين في الصور. إنك جميلة جداً، بل أنت أجمل شيء عرفته.

غير أن الصور ليست كافية، فما التذكارات سوى بدائل.

لكنني أريدك كلك، بكامل حواسك. أريد أن أراك، أن أستنشق رائحتك، أن أتذوقك، أن ألمسك. لم يسبق لي أن رغبت بشيء أو بشخص إلى هذه الدرجة. لقد أصبحت هدف حياتي ومعنى وجودي يا عزيزتي لوميكي.

15

تسلقت لوميكي سور مدينة الملاهي وهي تأمل ألا تثير أي نوع من أنواع أجهزة الإنذار. كانت درجة الحرارة قد هبطت فوصلت لدرجة التجمد، لذا كان السور بارداً للغاية، غير أنها تمكنت من الوصول إلى الطرف الآخر من دون أن تنبه صفارات الإنذار. كان الجليد يلمع فوق كل شيء كطبقة من الغبار السحري. إلا أن الحديقة الخاوية والساكنة بدت غريبة ومخيفة. كانت الألعاب والمركبات المظلمة تحت جنح الليل تبدو كوحوش نائمة لها عدة أذرع. إذ كانت تلك المركبات ساكنة ولكنها بدت وكأنها على وشك أن تتحرر من الأرض في أية لحظة وتبدأ بالسير. أما لعبة الأراجيح الدوارة فقد بدا عليها أنها على استعداد للبدء بدوران جنوني، وبدت سلاسل كراسيها على وشك الإقلاع، حيث كانت على استعداد للتحليق في الاتجاهات كافة. وكذلك كانت لعبة السجادة السحرية التي بدت مستعدة للطيران ثم الهبوط في البحيرة، لتغرق وتغرغر تحت أمواجها.

كانت مركبات الألعاب قد هُجرت خلال فصل الشتاء، حيث تُركت لتعيش مرحلة سباتها الشتوي، لذا لم يقم أي أحد بمناداتها حتى لا يثير غضبها.

تمكنت لوميكي من التسلل مرة أخرى من دون أن توقظ

سامبسا الذي كان يتمتع بنعمة النوم العميق. وفي تلك المرة غادرت لوميكي بسرعة كبيرة، ولم تترك له أية رسالة، إذ لم تكن على استعداد للمخاطرة بذلك حتى لا توقظه، فقد كان عليها أن تلتقي ذلك «الشبح»، وأن تصل إلى إجابات شافية.

في تلك اللحظة، أصبحت داخل مدينة الملاهي، ولكنها لم تجد أي أثر للشخص الذي كان يتعقبها، وقد تعبت لوميكي من عملية الاختباء تلك.

وفجأة، صرخت بأعلى صوت ساعدتها رئتاها على إطلاقه: «إنني هنا!».

تردد صدى الصوت في المكان من دون أن يجيبها أحد.

تعالي إلى بيت المفاجآت.

وصلتها رسالة نصية مرة أخرى. ولكن، لمَ لا يزال ذلك الشخص الذي كان يتعقبها يحاول أن يجعلها تجري وراءه؟ فها قد أتت إلى هذا المكان، أي أنها مستعدة للقائه.

كان الباب المؤدي إلى بيت المفاجآت مفتوحاً، فصاحت لوميكي: «مرحباً» حينما عبرت الباب، لكن لم يصلها أي رد. دخلت ووجدت أرضية مائلة، وجسراً من الحبال، وحفرة مليئة بالكرات، وقاعة مجهزة بمرايا تجعلك تبدو طويلاً أو قصيراً أو سميناً أو نحيلاً كعود. كانت لوميكي قد زارت هذا المكان سابقاً، ولهذا كان بوسعها أن تركض فيه بسرعة، بل كانت تعرف حتى الغرفة المظلمة، والمتاهة الزجاجية، وكذلك المنحدرات الموجودة في آخر البيت.

وهنا وصلتها رسالة نصية أخرى، جاء فيها:

جيد، لقد وصلت الآن إلى المرحلة الغريبة التي نسميها الطفولة، لكنها قد تشوهت وتغير شكلها، إذ لا يمكنك أن تثقي بذكرياتك دوماً، وذلك لأن الذكريات تخدعك، وحان الوقت الآن لتنتقلي إلى مرحلة الزوبعة.

كان الإحباط قد بدأ ينتاب لوميكي كما بدأت تفقد الأمل؛ إذ كانت ترغب بأن تضع حداً لكل ذلك. ولكن لعل تلك الحقيقة كانت آخر محطة في رحلتها، ولعلها قد تصل إلى إجابات شافية حالما تفرغ من تلك المهام.

كانت الزوبعة أكثر الألعاب جنوناً في حديقة الملاهي، وهي عبارة عن قطار سريع مجهز بلوالب مجنونة، حيث تسير عرباتها بسرعة جنونية ولكنها تبقى معلقة بسكة؛ حتى إن انقلبت رأساً على عقب أثناء سيرها على تلك السكة. كما أنها مزودة بحلقة ضخمة تتأرجح طيلة الرحلة.

وهنا وصلتها التعليمات التالية:

تسلقي السكة.

لا بد أن ذلك الشخص قد فقد عقله بالكامل، لأن المجنون وحده هو من يتسلق سكة القطار السريع. إلا أن لوميكي كانت هي المجنونة هذه المرة، لأنها فعلت ما طُلب منها.

كان تسلق السكة المتجمدة صعباً، إذ كان السطح المعدني زلقاً، مما صعب عليها الإمساك به. غير أن لوميكي حاولت أن تزحف في المسافة الأولى التي قطعتها على السكة المسطحة، ولكن حينما ازداد الانحدار، أصبح التسلق ضرباً من المستحيل، وخارت قوى لوميكي

عند تلك المرحلة تقريباً، فأخذت تزحف بيديها وركبتيها على السكة، وتتعلق بها حينما تلتف وتنحني بشكل حاد، وتتمسك بها بساقيها اللتين نابتا عن يديها. وفي بعض الأحيان، كانت تجر نفسها بالاعتماد على ذراعيها فقط. أطبقت لوميكي أسنانها بقوة، لأنها لم تكن تريد أن تستسلم، غير أنها أخطأت حينما نظرت إلى الأسفل، إذ وجدت نفسها في الأعالي، في مكان مرتفع للغاية. ولكن إلى أي ارتفاع كان ذلك الشخص الذي يتعقبها يريدها أن تصل؟ أغمضت لوميكي عينيها وحاولت أن تتنفس. كانت الريح القاسية تضرب خديها، لكنها كانت مجنونة هذه المرة، لذا أحست بأنها يمكن أن تسقط وتموت خلال ثانية. وفجأة، سمعت صوت أحدهم يصرخ من الأسفل وهو يقول: «لوميكي!».

كان بوسع لوميكي أن تتعرف على ذلك الصوت في أي مكان، ولكنها لم تصدق بأنها سمعت ذلك الصوت هنا، وهذا ما جعلها تنظر إلى الأسفل مرة أخرى. أجل، لقد كان ما سمعته صحيحاً، إنه بليز.

صاح بها: «انزلي من هناك! وخذي حذرك!».

وفجأة، فقدت لوميكي الإحساس بذراعيها وساقيها ووجنتيها وقلبها كلياً. لقد كان بليز... ذلك الشخص الذي أحبته أكثر من أي أحد في هذا العالم، ذلك الشخص الذي رغبت بأن تثق به أكثر من أي أحد في العالم... هل كان بليز...؟ أيمكن أن يكون هو؟ لم تستطع لوميكي أن تصل بتلك الفكرة إلى نتيجة منطقية. ولكن، ما هو التفسير الآخر الذي يمكن أن يكون؟

وعندها، سمعت في تلك اللحظة بالذات صوتاً آخر مألوفاً...

«ما الذي تفعلينه بحق الله؟ انزلي قبل أن أبلغ شرطة النجدة!».

لقد كان سامبسا.

لم تعد لوميكي تفهم ما يجري حولها؛ إذ كيف يمكن أن يجتمع سامبسا مع بليز في هذا المكان؟ بدأت قواها تخور أكثر فأكثر، فقررت أن تشرع برحلة النزول، والتي كانت أصعب بكثير من عملية الصعود والتسلق، إذ أحست بأن قبضتها على السطح المعدني كانت تضعف، وهذا ما دفعها للف ساقيها حول الأنبوب المعدني الذي يشكل حاجز السكة المتعرجة، لكنهما كانتا تنزلقان، وهذا ما جعلها تتعلق بذراعيها.

شعرت لوميكي بأن قواها تخور، ومن ثم سقطت...

غير أن سامبسا وبليز كانا قد وقفا تحتها ليمسكا بها. وخلال لحظة، وجدت لوميكي نفسها بين أذرعهما، إذ طوقتها ذراعا كل منهما بشكل ساعد على حمايتها، لكنها لم تكن تدري إن كانت تلك الأذرع تحاول حمايتها أم حبسها، ولهذا حررت نفسها من ذراعي كل منهما ثم ابتعدت عنهما مسافة بضع خطوات.

وبعدها، سألتهما: «ما الذي تفعلانه هنا بحق الله؟».

رد عليها بليز بعدوانية: «علينا أن نسألك السؤال ذاته».

هتفت لوميكي من دون أن تتجنب نظرات بليز: «لقد سألتكما أولاً، لذا عليكما أن تجيبا أولاً».

فكان بليز أول من أدار رأسه ثم اعترف بالقول:

«حسناً، كنت أتجول بالقرب من شقتك لأنني لم أستطع أن أنام، وأظن أنني كنت أتمنى أن ألمحك من الشباك أو أي شيء من هذا

القبيل، وحالما رأيتك تخرجين، قررت أن أتعقبك».

بدا عليه أنه كان يقول الصدق، غير أن لوميكي لم تكن تدري إن كان بوسعها أن تثق بأي شخص بعد اليوم، ولهذا وجّهت بصرها نحو سامبسا وسألته:

«وأنت؟».

رد عليها: «لقد قرأت الرسالة التي وصلتك، لكنني لم أوقظك فور وصولها، وحينما استيقظتِ، تظاهرتُ بالنوم ثم تبعتك، لأنني أحس منذ فترة طويلة بأنك أصبحت تواعدين شخصاً آخر بلا شك».

بدا سامبسا في البداية خجلاً من فعلته، ولكنه بعد ذلك رفع ذقنه متحدياً وهو يقول:

«ويبدو أنني كنت على حق، فلقد أتيتِ إلى هنا لتلتقيه».

وهكذا، هتف سامبسا بذلك الكلام مشدداً على الكلمة الأخيرة التي نطق بها بازدراء، ثم أخذ يومئ برأسه باتجاه بليز.

ردت لوميكي: «كلا، لم أفعل ذلك».

فسألها: «جيد، إذاً لمَ أتيتِ؟».

فلم تجب لوميكي عن سؤاله، لأنها كانت مرتبكة أشد الارتباك، وكانت تسأل نفسها: هل كان بليز صادقاً؟ أم أن سامبسا هو الذي صدق معها؟ أكلاهما لا يمتان بصلة للشخص الذي يتعقبها؟ أم أن كليهما يمثلانه؟ أم أنها مؤامرة؟

وهنا صاح بليز مخاطباً سامبسا: «مهما حدث، من الواضح أنك شخص غير مرغوب به هنا».

فاستدار سامبسا نحو بليز ثم اقترب منه من دون أن يقتحم الحيز

الخاص به، وقال:

«أود أن أذكرك بأن لوميكي صديقتي».

رد عليه بليز: «صديقتك التي قبلتني قبل يومين».

فما كان من سامبسا إلا أن نظر إلى لوميكي وكأنه كان يطلب منها أن تنكر ذلك.

غير أن لوميكي التزمت الصمت مرة أخرى ولم تجب، لكن عينيها كانتا تقولان كل شيء، وهذا ما جعل سامبسا يدفع بليز بخشونة ثم صاح به:

«اخرج من حياتنا! سبق لك أن تركت لوميكي مرة، وها قد ضاعت فرصتك معها».

عند ذلك، ابتسم بليز ابتسامة حقيرة، ودفع سامبسا إلى الخلف بلطف، بل بطريقة أقرب للهزل ثم قال:

«لا يكترث الحب الحقيقي بمثل تلك الأمور، ثم إننا أنا ولوميكي لا بد أن نكون لبعضنا، إنه القدر».

فصاح به سامبسا قائلاً: «إنك تتحدث عن نفسك وكأنك شخصية عظيمة، مع أنك لم تتصرف كرجل حقيقي حتى تبقى إلى جانب لوميكي».

رد بليز: «آه! إذاً، هل سنرى الآن من هو الرجل الحقيقي؟».

وفجأة، اشتبك كل من بليز وسامبسا بالأيدي، وبدآ يطلقان السباب والشتائم على بعضهما، حيث أخذ كل منهما يدعي أن لوميكي تحبه هو. أخذت لوميكي تراقب ذلك المشهد والتعب ينهشها، فأحست وكأنها كانت تراقبه من خلف الزجاج؛ إذ لم تقم

بتشجيع أي منهما، كما لم تتمنَّ أن يهزم أحدهما الآخر، بل بدا لها الصراع صراعاً صبيانياً وفي غاية الغباء.

تنهدت لوميكي وصاحت بهما قائلة: «لا يمكنني أن أعالج هذا الموضوع الآن، لذا بوسعكما أن تظلا هنا ليضرب كل منكما الآخر حتى يؤذيه ويدميه، فلن يهمني كل ذلك، لأنني سأترككما الآن. لذا، لا تكلفا نفسيكما مشقة تتبعي».

وهنا شرعت لوميكي بالركض من دون أن تلتفت للخلف، إذ كانت تريد أن تشد عضلاتها المرهقة وأن تحس بذلك. كانت ترغب بأن يعذب الهواء المتجمد رئتيها. كانت لوميكي تريد شيئاً، أي شيء يبدد ضباب الشك الذي كان يعصف برأسها.

أيمكن لشخص أن تصيبه لوثة جنون من دون أن يدري بذلك؟ أم أنها الطريقة الطبيعية للجنون؟ وماذا لو لم تعد تسيطر على الواقع؟ ماذا لو أنها كانت قد تخيلت كل ذلك؟ وماذا لو أن تلك الرسائل لم تكن موجودة أصلاً؟ وماذا عن الرسائل النصية؟ أو الشخص الذي كان يتعقبها؟

ماذا لو كان ذلك كله مجرد فكرة بقيت حبيسة داخل رأس لوميكي؟

قفزت لوميكي على السور، وأمسكت به بأصابعها ثم تسلقته، وبعدها تابعت الجري. وحينما وصلت إلى الشارع الرئيس المحاذي لشاطئ البحيرة، ناداها شخص كان خلفها قائلاً:

«هيه يا حبيبتي! لقد بدأت الحفلة للتو!».

كان هناك ثلة من الرجال في أواسط أعمارهم، وكانوا يغادرون

حفلة أقيمت في مرسى القوارب على ما يبدو، بل كان ذلك ما ظنته على الأقل بسبب قبعات العفاريت التي كانت على رؤوسهم ومن أنوفهم الحمراء. فما كان من لوميكي إلا أن تابعت الجري، إذ كانت تود أن تهرب من كل شيء، بعيداً عن حياتها، وبعيداً عن الجنون الذي ساد أيامها.

إلا أنها لم تصل إلى أي إجابات شافية، كما أنها لم تعرف هوية الشخص الذي كان يتعقبها.

حينما فتحت لوميكي باب شقتها، شعرت بأنها أصبحت على وشك الانهيار على الأرض والبكاء. إذ كم يستطيع الإنسان أن يتحمل؟ وكم من العبء يتعين عليها أن تحمله بمفردها؟ وأين الخيط الذي قطع؟

كانت لوميكي قد بلغت حالة من التشوش والأسى، وأدركت حينها بعد فوات الأوان وجود شيء لم تفهمه. ولكن في الوقت الذي أدركت فيه ذلك، كانت يداها قد أصبحتا خلف ظهرها، حيث لويتا بفعل قبضة محكمة، وهنا أحست بقفاز جلدي يضغط على فمها، ثم أحست بأن أحداً قد رفع كمها.

كان آخر شيء أدركته لوميكي هو ذلك الرأس المستدق لإبرة أخذت تضغط على ذراعها العارية، ثم ذلك الشيء الذي حُقن بوريدها.

وبعدها، حلت الظلمة محل كل شيء في هذا العالم.

الجمعة، 15 كانون الأول،

في الصباح الباكر

16

كان الظل يخفق أحياناً بالقرب منها، وأحياناً أخرى بعيداً عنها، كما كانت صورته غير واضحة المعالم ومتغيرة، لذا لم تستطع أن تتبين شكله.

حاولت لوميكي أن تركز، إلا أن كل شيء كان في غاية الضبابية، وهنا بدأ رأسها يتصدع، كما أحست بأن ذراعيها وساقيها أصبحت جميعها ثقيلة، كما لو أنها كانت تعيش كابوساً، وأحست بأن أقصى رغبة لدى جفنيها هي أن يسبلا مرة أخرى، ولكنها أرغمتهما على البقاء مفتوحين.

كانت لوميكي ممددة على ظهرها. حاولت إبعاد يدها اليسرى عن جسدها، وهنا اصطدمت بعائق ما، وهذا ما حدث ليدها اليمنى أيضاً، ولساقيها أيضاً. وهكذا، لم تكن بحاجة لأكثر من أن ترفع إحدى يديها إلى الأعلى بقدر ما تستطيع كي تكتشف وجود عائق هناك أيضاً. بدا لها الأمر غريباً. كان بوسعها أن ترى ما هو فوقها وكذلك على جانبيها، أو لعله كان بوسعها أن ترى ذلك لو لم يكن كل شيء حولها ضبابياً، إذ دخل الضباب عينيها، وأخذت تفكر بأفكار ضبابية، لم يكن بمقدورها أن تركز عليها هي أيضاً.

«ثم لم يمضِ وقت طويل حتى فتحت عينيها».

سمعت لوميكي ذلك الصوت فوقها، إذ كان قد صدر عن ظل

أخذ يتحرك. وقد أدركت لوميكي بغموض أن ذلك الصوت كان مألوفاً، ولكنها لم تستطع أن تتأكد من ذلك.

«عرفت أنك ستكونين أقوى من الأميرة في القصة، حيث لن يؤثر عليك السم لفترة طويلة، وذلك لأنك مناضلة، إذ بقيت تحاربين وتناضلين طيلة حياتك، كما أنك حاربتني ببسالة أنا أيضاً. ثم إنك لا تظهرين خوفك، ولم تخبري أحداً بما جرى معك».

عند ذلك، بدأ الضباب ينجلي من رأس لوميكي بعض الشيء، وأخيراً عرفت ما الذي كان يعيق حركات ذراعيها وساقيها البطيئة والمرهقة؛ فقد كانت داخل صندوق، أجل، داخل التابوت الزجاجي الذي صنع من أجل المسرحية.

تابع الشبح حديثه بالقول: «ولكن، انتهى الآن كل كفاحك، فلم يعد يتعين عليك أن تحاربي بعد اليوم، إذ بوسعك أن تستسلمي الآن وتكوني لي».

حاولت لوميكي أن تنهض لتجلس، فأحست بأن رصاصاً أسود وكأنه قد صب في أوردتها وعروقها، مما منعها من التحرك بشكل طبيعي. كما ارتطم رأسها بالغطاء الزجاجي للتابوت، غير أنها بدأت تصارع، فتمكنت من رفع يديها نحو الأعلى وحاولت أن تزيح الغطاء.

كانت تعرف أن ذلك يجب أن يتم بسهولة، إذ كانت قد فعلته مرات ومرات أثناء مرحلة التدريب على المسرحية، إلا أن الغطاء لم يتزحزح الآن.

«لوميكي الصغيرة المسكينة. قد تفاجئنا الحياة في بعض الأحيان، فنكتشف أن الأمور لم تعد تسير كما نريد. وقد يصعب عليك في

بعض الأحيان أن تخرجي من التابوت الزجاجي بكل سهولة؛ فهذه ليست مسرحية، كما أنها ليست حكاية خيالية، بل هذا هو الواقع، وتلك هي الحقيقة، أي أن غطاء التابوت الزجاجي قد أحكم إغلاقه بالطبع».

حاولت لوميكي أن تجعل رأسها الذي كان يدور يتعرف على صاحب الصوت، لأنه كان مألوفاً جداً بالنسبة لها، بل كان ينبغي لها أن تعرفه، وكانت تستطيع أن تتذكر اسم صاحبه.

كان الاسم مألوفاً للغاية.

وكانت قد نطقت به مرات كثيرة.

لكنها لم تستطع أن تجده ضمن الغلالة التي غطت عقلها، إلا أنها عرفت أن صاحب الصوت لم يكن يكذب حينها، أي أن الغطاء كان محكم الإغلاق بالفعل.

«ما قد يفاجئك أكثر هو أن تعرفي أن هذا التابوت الزجاجي الذي أُحكِم إغلاقه يمنع تسرب الهواء بشكل كامل، لذا عليك أن تحتفظي بأنفاسك، وذلك لأن الأكسجين لن يبقى معك للأبد. وأنا متأكد بأنك ترغبين بأن تبقي واعية طيلة الوقت الذي أحدثك فيه حول كل الأمور التي أعرفها عنك».

عند ذلك، تمددت لوميكي في التابوت، وأمرت نفسها بالاسترخاء، وأخذت تقول لنفسها: عليك أن تتنفسي قدر الحاجة فقط. كما عليك أن تبقي هادئة، وإلا فلن تنجي من هذه المحنة أبداً.

إنك لن تخرجي من هذه المحنة أبداً.

أخذ الرعب يزحف فوق رقبة لوميكي حينما سمعت تلك

الكلمات تتردد داخلها، وذلك لأن ذلك الكلام كان من الممكن أن يتحول إلى حقيقة بكل بساطة.

«إنني متأكد من أنك قرأت كل رسائلي. لذا، أنت تعلمين جيداً أنني أعرف الكثير عنك، إذ بقيت أدرسك لبعض الوقت، وأخذت أتعقبك وأراقبك، وأحرسك وأحميك، وأتجسس عليك وأتتبع خطواتك. لقد قمت بكل ذلك لأنني أحسست في فترة مبكرة بأننا متشابهان؛ إذ ثمة ظلمة تعيش فينا».

شعرت لوميكي برغبة بالتقيؤ، ولكنها لم تكن تعرف إن كان سبب حالة الغثيان تلك هو الكلام الذي سمعته من ذلك الصوت، أم المواد التي حقنت بها. ثم حاولت أن تتنفس باعتدال، وذلك لتجعل معدل ضربات قلبها أقرب إلى ما يمكن أن تكون عليه عادة.

«لا بد أنك استهجنت كلامي عن الدم والقتل، فقد رأيت تعابير وجهك مرة أو مرتين حينما كنت تقرئين رسائلي، وبدت عليك الصدمة والخوف. لكن، لا حاجة لذلك، لأنني لم أكن لأكتب لك عن تلك الأمور لولا أنني عرفت أنك كنت قاتلة أيضاً، فأنت القاتلة الوحيدة بيننا نحن الاثنين، أما أنا فأستمتع بفكرة القتل، وأعتقد أنها فكرة لا مفر منها، وأنني سأنفذ في نهاية المطاف ما أحلم به، إلا أن ذلك لم يحدث بعد. ولو كنتِ غبية وأخبرتِ أحدهم عن رسائلي، لكنتُ قد نفذت تهديداتي، ولكان ذلك قد أعطاني سبباً ومبرراً. ولكن، ما هو سببك ومبررك يا حبي؟ أهي مجرد الرغبة بالقتل؟ أم أنه الشر الذي جُبلتِ عليه؟ ولكن، لا تقلقي، لأن كلا الخيارين يحفزانني للقيام بما أعتزم أن أقوم به».

أخذ الظل يدور حول التابوت الزجاجي كما يدور الحيوان المفترس حول فريسته، وهو يفكر بطريقة مباغتته والوقت المناسب لذلك. فهل سيغرز أنيابه في الفخذ أولاً أم في الذراع أم في الرقبة؟

«لست أعرف إن كنتِ مجرد ممثلة بارعة، أم أنك لا تتذكرين بالفعل، ولكنني أظن أنك بدأتِ باسترجاع ذكرياتك حينما قرأتِ رسائلي على الأقل. ولا بد أنكِ تذكرتِ يديك اللتين غطتهما الدماء، وكيف قتلتِ شقيقتك روزا».

وهنا تسارع نبض لوميكي ليبلغ مستوى مخيفاً. فهل استطاع ذلك الشبح أن يعرف ذلك فعلاً؟ وهل كان ذلك حقيقياً؟ هل قتلت شقيقتها حقاً؟

«أوه يا عزيزتي لوميكي، كم تبدين شاحبة! لعلك لم تتذكري كيف غرست السكين الحادة في بطن شقيقتك، وكيف وقفت بجانبها ببرودة، وأخذت تراقبينها وهي تنزف الدم، ولم تنادي جليسة الأطفال لمساعدتها، وهكذا وصلت بعد فوات الأوان. لقد قرأتُ جميع محاضر الشرطة».

وهنا فقدت جميع أفكار لوميكي القاتمة وحواسها القدرة على التركيز على الحاضر برمته.

إلا أن كلام الشبح ذكرها فجأة بكل الماضي، فأغمضت عينيها، ورأت نفسها في الثالثة من العمر.

كانت لوميكي في الثالثة من عمرها وروزا في السادسة، وكان أبواهما قد خرجا لمكان ما، لعله المسرح، وكانت جليستهما جينيكا

فتاة مراهقة من بنات الجيران. كانت جينيكا قد تشاجرت في تلك الليلة مع حبيبها، لذا أخذت تضغط أزرار هاتفها بقوة، حيث اتصلت بحبيبها عدة مرات، ثم بأصدقائها وأصدقائه، ولهذا كان كل ما تناولته كل من لوميكي وروزا على العشاء بالكاد ما تبقى من فطائر اليوم السابق التي أعيد تسخينها، بالإضافة إلى مربى الفراولة.

أخذت جينيكا تصرخ بغضب وهي تحدث إلى حبيبها عبر الهاتف وتقول: «إذاً، لماذا يمكنك أن تقبّل من أردت، وأتحول أنا إلى فتاة سيئة إن تحدثت مع شاب فقط؟».

سألت لوميكي: «ماذا تعني فتاة سيئة؟».

ردت روزا وهي تؤكد لها كأخت كبرى: «إنها فتاة لديها الكثير من العشاق».

وهنا نظرت جينيكا إليهما بضجر، ثم خاطبت روزا وهي تشير إلى لوميكي: «اعتني بأختك، وحاولا ألا تتقاتلا لبعض الوقت».

ثم صعدت إلى الطابق العلوي كي تتحدث بهدوء.

كان هنالك الكثير من مربى الفراولة لدهن الفطائر الصغيرة، فكان المربى يغطي طبقي الفتاتين.

وهنا اقترحت روزا: «ما رأيك أن نلعب لعبة الموت؟».

سألتها لوميكي: «كيف يلعبونها؟».

ردت روزا: «هكذا». ثم أخذت تشرح لها وهي تدهن مربى الفراولة على صدر قميص نومها الأبيض، وبعدها هتفت: «هذا دم».

ففعلت لوميكي مثلها. كان المربى لزجاً، وأخذ يتساقط على الأرضية، ثم أصبحت يداها لزجتين، فضحكت لوميكي، إلا أن ذلك

لم يكن ليرضي روزا التي قالت وهي تتجه نحو أحد الأدراج: «يجب أن يكون هناك سلاح ليخرج الدم».

دهشت لوميكي حين رأت سكيناً حادة بيد روزا، وهمست قائلة: «لا يُسمح لنا بأن نلمس السكاكين».

فردت روزا: «لكن أمي وأبي ليسا هنا، ثم إن هذه مجرد لعبة».

همست لوميكي مشككة: «حسناً».

فشرحت لها روزا: «إنني حزينة للغاية، لأن كل ما أريده هو أن أموت».

سألتها لوميكي: «لماذا؟».

ردت روزا: «ربما بسبب صديقي الذي تركني لتوه».

ثم أخذت تندب بصوت مؤثر وهي تلوح بالسكين في الهواء: «لم أعد أريد أن أعيش، ولذلك سأقتل نفسي!». ثم وجهت رأس السكين نحو بطنها، وطبعاً بقيت السكين في الهواء بعيدة عن قميص نومها مقدار مسافة آمنة.

بعد ذلك، حدث كل شيء بسرعة، إذ انزلقت روزا بفعل المربى الذي كان على الأرضية، وسقطت نحو الأمام وهي تحمل السكين التي غاصت في بطنها، ثم تهاوت على وجهها فوق الأرض، لكنها لم تنهض بعد ذلك. هرعت لوميكي نحو أختها وأخذت تلكز كتفها، غير أن روزا لم ترد، ثم بدأ الدم يتسرب من تحتها.

عندها صاحت لوميكي: «إنها لعبة غبية». لكن روزا لم ترد.

أخذت لوميكي تنادي وهي تدفع روزا وتقلبها بكل ما أوتيت من قوة على ظهرها: «كلميني!».

كانت عينا شقيقتها مفتوحتين، لكنها لم تكن تنظر إلى لوميكي، ثم أخذ الدم يخرج من فمها.

عندها، أدركت لوميكي بأن شيئاً مريعاً قد حدث.

فركضت وركضت وركضت نحو الطابق العلوي، وصرخت منادية على جينيكا التي كانت في الحمام تبكي وتصرخ وهي تقول: «لم أحب أحداً كما أحببتك!».

طرقت لوميكي على باب الحمام، فصاحت جينيكا من خلف الباب:

«ماذا تريدين الآن؟».

ردت لوميكي: «إنها روزا... روزا... وتلك اللعبة الغبية».

قالت جينيكا بصوت باكٍ: «حسناً، قولي لها إنك تريدين أن تلعبي لعبة أخرى، واتركيني وحدي قليلاً الآن، هيا!».

كانت لوميكي تبكي أيضاً، غير أن دموعها لم تكن تتدفق من عينيها.

أسرعت لوميكي إلى خزانة الأدوية الموجودة في حمام والديها، وأخرجت علبة من الضمادات اللاصقة، لأنها كانت تعرف أن المرء يحتاج لضمادة إن كان ينزف، وهكذا أخرجت الضمادات التي طبعت عليها صورة ميكي ماوس لأن روزا كانت تحب تلك الضمادات.

وبعد ذلك عادت أدراجها، فوجدت روزا ما زالت ممددة على الأرض، إلا أن هنالك الكثير من الدم حولها، كما وجدت السكين مغروزة في بطنها، فبدا المنظر غريباً بالنسبة لها، إذ يفترض ألا تكون السكين على تلك الحال، لذا حاولت لوميكي أن تخرج السكين،

لكنها فشلت في ذلك، فوضعت الضمادات حول السكين، إلا أنها غرقت بالدم على الفور؛ إذ كان الدم قد غطى قميص نوم روزا الأبيض، لذا لم تكن الضمادات لتفيد في تلك الحالة، إذ لم يختف الجرح بتلك الطريقة.

كان الدم لزجاً كمربى الفراولة، لكنه لم يكن حاراً، بل أصبح بارداً.

وأخيراً، نزلت جينيكا بعدما احمرت عيناها وأخذت تشهق بعد نوبة بكاء، فوقفت عند عتبة باب المطبخ وصاحت:

مكتبة

«ما هذا!؟».

ردت لوميكي: «كنا نلعب لعبة الموت، لكنها لعبة غبية، لم تعجبني».

أدركت لوميكي أن تلك الذكرى كانت حقيقية، وأنها لم تكن تتخيلها، كما لم تأت نتيجة للعقاقير التي حُقنت بها، بل كان ذلك كل ما حدث. ثم إن تلك الذكرى كانت تفسر كل تلك الإرهاصات والكوابيس الغريبة التي كانت لوميكي تراها، إذ كانت لديها شقيقة وماتت، لكنها ماتت بفعل حادث، ولم تكن هي من قتلها.

أكان والداها يعتقدان أنها من فعل ذلك؟ هل كانا يظنان أن لوميكي هي التي أخرجت السكين من الدرج وطعنت روزا في بطنها؟ وهل هذا هو السبب الذي دفعهما لإخفاء أمر شقيقتها وكل ما يتعلق بتلك الحادثة عنها؟ كان يجب على لوميكي أن تتحدث إليهما في الحال، لذا كان عليها أن تخرج من التابوت الزجاجي.

أخذت لوميكي تختبر وبكل حذر إن كان الضعف والثقل اللذان انتابا ذراعيها وساقيها قد اختفيا نهائياً، ثم إن التنفس بات أمراً شاقاً في تلك المرحلة أيضاً، وذلك لأن الأكسجين بدأ ينفد.

«ظن الجميع أنك صغيرة جداً وليس بمقدورك أن تستوعبي ما فعلته، واعتبروا الأمر مجرد حادث، إذ قد تحدث مثل تلك الأمور في بعض الأحيان حينما يكون الأطفال الطبيعيون يلعبون. ولكن ألن يهرع أي طفل طبيعي على الفور لمناداة جليسته؟ ثم إن الطبيب النفسي المختص بمعالجة مشاكل الأطفال وجد أنك ميالة للتحفظ والصمت، والغضب أيضاً؛ إذ بقيت ترددين كم كانت روزا غبية. وحينما قرأتُ الأوراق والوثائق المتعلقة بك، تمكنت من الوصول إلى أعماقك، حيث اكتشفت أن السواد يغلفها كما هي الحال لدي. إذ إن أعماقك سوداء كخشب الأبنوس، ومنذ ذلك الوقت بدأت أقع بغرامك».

كلا، كلا، كلا...

أخذت لوميكي تهز برأسها نافية، إذ لم تجر الأمور على تلك الشاكلة، لقد كذبت جينيكا، وهي تتذكر أنها فوجئت بذلك في ذلك الحين، وبأنها كانت تكره جينيكا لأنها كانت تكذب، كما كانت تكره أمها وأباها لأنهما بقيا خارج البيت، وكانت تكره روزا لأنها أرادت أن تلعبا لعبة تحولت إلى حقيقة وواقع. ثم إنها كرهت شقيقتها لأنها ماتت. أجل، لقد كرهت روزا لأنها كانت تحبها كثيراً، ولأنها رحلت فجأة.

حاولت لوميكي أن تتنفس بطريقة تساعدها على توفير الهواء، إذ بدأت تحس بنقص في الأكسجين وزيادة في احتمال الإغماء مع

عدم وضوح الرؤية في عينيها.

أيمكن لهذا التابوت الزجاجي أن يتحول إلى تابوت حقيقي؟

بحثت لوميكي في ملابسها عن أي شيء يمكنها أن تستخدمه كسلاح لتخرج من هناك، لكنها لم تكن تضع حزاماً مزوداً بقطعة معدنية يمكنها أن تستخدمها لتخرج، ولم يكن لديها حتى دبوس شعر. ثم مدت إحدى يديها لتتلمس جيب بنطالها، فوجدت شيئاً معدنياً بارداً، بدا لها سطحه مألوفاً حينما وصلت إليه أصابعها. كان ذلك تنينها!

أجل، كان ذلك التنين المزخرف، مما يعني أنه يشتمل على دبوس. ولكن، ماذا سيحدث لو قامت لوميكي بحك سطح الزجاج بذلك الدبوس لتخلخله؟ ضغطت لوميكي على التنين بأناملها، ثم بحثت عن مشبكه وفتحته. كان دبوسه حاداً. وببطء وحذر أخرجت لوميكي يدها من جيبها، إذ كان الظل يقف إلى يمين التابوت الزجاجي في ذلك الحين. ضغطت لوميكي بالدبوس على الجدار الأيسر للتابوت بكل ما أوتيت من قوة، وأخذت تحركه نحو الأسفل.

غير أن الدبوس الرفيع تعطل على الفور، وتقوس حيث لم يعد يفيد في أي شيء.

وهنا دمعت عينا لوميكي خوفاً وإحباطاً ويأساً.

إذ أحست أنها لن تخرج من ذلك التابوت أبداً.

لعلك تسألين نفسك: لمَ أنا بالذات؟

لأنك مميزة يا عزيزتي لوميكي، إذ ثمة نور وظلمة بداخلك، ولهذا أنت لست كغيرك، بل إنك أقوى من أي شخص آخر رأيته في حياتي. وبالرغم من ذلك، أجدك هشة وحساسة. لكنك لا تخشين أن تبقي وحيدة، وذلك لأنك تعلمين أن الآخرين ليسوا على قدر أهميتك. ثمة جوانب ووجوه كثيرة لشخصيتك، إذ قد بلغت وأنت في الثامنة عشرة من عمرك درجات لا يمكن أن يبلغها كثيرون.

لقد واجهتِ الحزن والكره، ولم تكوني شخصية مثالية فقط.

عرفت أننا يمكننا أن نلتقي كصنوين، وذلك لأن الدم الأسود ذاته يجري في عروقنا نحن الاثنين، وهذا أمر لا يمكن لأي شخص آخر أن يستوعبه.

حينما رأيتك لأول مرة، عرفت ذلك على الفور، وها قد مضت سنون طويلة على ذلك، لكنك لم تعرفي أنني وصلت إلى أعماقك وحقيقتك حينما رأيتك. كانت إحداهن قد تركتني دون أن تتمكن من تقدير أفكاري حق قدرها والتعمق في ذاتي، وبعدما تركتني، اعتقدت أنني لن أجد أحداً مثلك.

ثم أتيت أنت.

كنتِ قد أتيت كعاصفة هادئة، إذ لم يكن الآخرون يدركون قوتك، لكنني أحسست بالريح، ورأيت السحب الرعدية والبرق، وكل تلك العظمة، والجمال الذي لا يمكن أن يظهر إلا مع أعتى العواصف، فكنا كمن يركب العاصفة الهوجاء.

أجل، تلك هي حالنا، فنحن نركب العاصفة الهوجاء، ولا تنطبق علينا قوانين هذا العالم ونواميس وهذا المجتمع، لأننا مخلوقان استثنائيان.

إنني أشعر بسعادة غامرة لأنك قريباً ستصبحين لي... لي وحدي.

17

كنت أبحث عن نفخة حياة،
عن لمسة صغيرة لنور سماوي
لكن جميع الجوقات أخذت تغني في رأسي
لا، أوه، أوه

أحست لوميكي أن قلبها كان على وشك أن يتوقف حينما بدأ صدى أغنية «نفخة الحياة» لفلورنس + ذا ماشين يتردد داخل المدرج.

«إنها أغنيتك المفضلة، أليست كذلك؟ لا تتظاهري بالدهشة يا عزيزتي. لقد أخبرتك أنني بقيت أتتبع كل خطوة تخطينها، لذا أنا أعرف نوع الموسيقى التي تستمعين إليها، وأعتقد أن هذه الأغنية ملائمة لهذه المناسبة تماماً، نظراً إلى كونك تتوقين لنفخة هواء تنقذ حياتك. وبما أنك بحاجة للأكسجين فستحصلين عليه بعد قليل. ولكن، عليّ أن أتأكد أولاً أنك تبادلينني الحب، وتتفهمين أنه يجب علينا نحن الاثنين أن نبقى معاً».

أصبح صوت الشبح حاداً بعض الشيء، غير أن عقل لوميكي لم يستطع تمييز صاحبه بعد، إذ لم تستطع لوميكي أن تضع ذلك الصوت في الصندوق الصحيح، وأن تربطه بالاسم المناسب له.

من هو هذا المعتوه؟ وما الذي ينوي أن يفعله بها؟

كانت لوميكي تعرف أنه ليْس بوسعها أن تنتظر لترى ما الذي سيحدث لها، بل كان عليها أن تفعل شيئاً.

إنه طريق أشد وعورة، وقد أتى ليشتكي ضدها
وأنا أقول دوماً: يجب أن نبقى معاً.
ويمكنني أن أنظر للأسفل، لأنه ثمة شيء هنا.
وإن رحلتِ، فلن يمت لي هذا المكان بأي صلة
(بأي صلة، بأي صلة، بأي صلة)

كانت لوميكي لا تزال تتحسس حراشف التنين بأناملها؛ إذ كان وجود هذا الدبوس التزييني في يدها يريحها. وبالرغم من أن الدبوس كان قد تقوس، إلا أنها بقيت تمسّد سطح جلد التنين بإصبعها، بدءاً من رأسه، فأذنيه، فجناحيه الموجودين فوق ظهره، ووصولاً إلى ذيله الذي ينتهي بطرف مستدق وحاد لدرجة أنه جرح إصبع لوميكي.

كان رأس الذيل أقوى وأهم من الدبوس بشكل واضح.

حاولت لوميكي أن تهدئ من سرعة نبضها، إذ كان عليها أن تبقى هادئة؛ فكلما خفق قلبها أكثر، ازدادت حاجتها للأكسجين أكثر، ولم يكن بوسعها أن تحصل عليه حينها، فهي تعاني من حالة نقص بالأكسجين وبالحرمان منه، إلا أنها كانت تأبى أن تفكر بما يمكن أن يحدث عقب ذلك ومتى.

ضغطت لوميكي بذيل التنين على الزجاج، وشدت عليه بكل ما أوتيت من قوة، ثم سحبته نحو الأسفل، فأحست بأن المعدن قد خدش شيئاً من الزجاج؛ إذ لا بد للتنين أن يترك أثراً، ولكن ما مدى

عمق ذلك الأثر؟ وهل هذا الأثر قادر على أن أن يجعل الزجاج مخلخلاً بما فيه الكفاية؟

أدركت لوميكي أنه ليست أمامها سوى فرصة واحدة، وعليها أن تنجح فيها من أول محاولة.

كان الدبوس التزييني قد ترك خدشاً في الزجاج، إلا أن يد لوميكي كانت ترتجف وهي تدس التنين في جيبها مرة أخرى. وبعد ذلك، استجمعت قواها للحظة؛ إذ كان عليها أن تتماسك، وأن تحافظ على ما تبقى من الأكسجين لبضع ثوانٍ أخرى.

وبدأت أسمعه من جديد
لكنها لم تكن النهاية هذه المرة
وكانت الغرفة في غاية الهدوء، أوه، أوه، أوه، أوه
وكان قلبي كأرض جوفاء
حتى يرقص الرعديد من جديد
وكانت الغرفة في غاية الهدوء، أوه، أوه، أوه، أوه

ملأت لوميكي رئتيها بكل الأكسجين الذي ما زال بوسعها أن تستنشقه داخل التابوت الزجاجي، ثم ضربت بمرفقها وبكل ما أوتيت من قوة فوق الخدش الذي خلفته، غير أن ذلك الألم الشديد اخترق مرفقها فأصبح كل ما تراه أحمر بعينيها.

لكن الزجاج تكسر، وسقط جدار التابوت، وتدحرجت لوميكي خارجه وهي تحمي وجهها من الزجاج المتناثر ذي الرؤوس الحادة، والذي مزّق ثيابها وجرح ذراعيها. كما دخلت شظايا صغيرة من الزجاج

جلدها، إلا أن لوميكي لم تكترث لذلك، وذلك لأن الأكسجين كان قد ملأ رئتيها.

أصبح الشبح بجانبها بلمح البصر، لكن لوميكي كانت قد توقعت ذلك بل وأكثر.

قال لها وهو ينحني فوقها: «كان عليّ أن أتوقع أنك لن تصبري وتنتظري...»

فما كان من لوميكي إلّا أن ضربته بمرفقها مرة أخرى على أنفه. وحينما نهض الشبح وهو يصرخ من شدة الألم، تمكنت لوميكي من رفع نفسها، مما ساعدها على توجيه ضربة أخرى للشبح على المنطقة الحساسة لديه بواسطة مرفقها الآخر.

وقد نجحت في ذلك، حيث انحنى ذلك الشخص الذي كان يتعقبها فوق ركبتيه.

عندها، تدحرجت لوميكي إلى طرف خشبة المسرح، ثم نزلت عنها، وحاولت أن تقع عنها بخفة قدر الإمكان، غير أن الأرضية الصلبة أوجعتها رغم ذلك، كما أنها بقيت تحس بساقيها وكأنهما أشبه بقضيبين ثقيلين من الرصاص، ولهذا كانت تعرف أنها لن تتمكن من الوقوف، إذ لم يحن وقت ذلك بعد؛ في تلك اللحظة على الأقل. ولهذا، أخذت تجر نفسها فوق الأرض بواسطة ذراعيها.

كان عليها أن تختبئ في مكان ما وبسرعة. أجل، كان يجب عليها أن تختبئ، ولكن أين؟

كانت غرفة الصف المخصصة للأدب هي القاعة التي تأتي بعد المدرج، لذا بدأت لوميكي تجرّ نفسها نحوها، فقطعت المسافة

بشكل مؤلم وببطء؛ إذ كان مرفقاها يؤلمانها، وأحست بأن شظايا الزجاج تنغرس في جلدها أكثر.

وفي بقعة ما خلفها، سمعت الشبح وهو يتأوّه، وبدا وكأنه على وشك أن يتعافى من آثار ضربتها خلال وقت قصير، وعندئذ لن تستغرق منه عملية الجري نحو المكان الذي تتواجد فيه وقتاً طويلاً.

كان باب غرفة ذلك الصف منفرجاً قليلاً، لذا كان بوسع لوميكي أن تسمع صوت الشبح وهو يتحرك. فتحت لوميكي الباب بيدها، ثم سحبت نفسها إلى داخل الغرفة، وحاولت أن ترفع نفسها قدر الإمكان كي تتمكن من الإمساك بقبضة الباب ومن إغلاقه. وعلى الفور، أحست بالشبح يجذب مقبض الباب من الطرف الآخر، فعضت على شفتها من الألم، وأخذت تسحب نفسها بإحدى يديها لتدير المفتاح في القفل.

بعد ذلك، خارت قواها وسقطت لاهثة، ولكن ظهرها بقي يسد الباب.

وفي تلك اللحظة، سمعت صوت الشبح وهو يضحك من خلف الباب ويقول: «آه يا لوميكي، يا صغيرتي المسكينة لوميكي! هل ظننت أنني لا أملك مفتاحاً؟ بالطبع لدي مفتاح لهذا الباب، لذا ما عليك سوى أن تنتظريني هنا حتى أحضره من قاعة الخزائن، ثم يمكننا بعد ذلك أن نتحدث لبعض الوقت».

وهنا عاد للوميكي ذلك الإحساس بأنها لم تعد قادرة على التنفس.

18

كان الخوف من الموت أمراً مدهشاً؛ إذ تمكنت غريزة الرغبة في البقاء من بث القوة في عضلات لوميكي بشكل لم تعهده من قبل. وفجأة، عادت ذراعاها وساقاها إلى سابق عهدها من جديد، وأخذ دماغها يصدر أوامر لعضلاتها بسرعة كبيرة، حيث لم يتسنَّ للوميكي الوقت الكافي لتحيك أفكاراً لخطتها، بل بدأت تتصرف على الفور.

أخذت لوميكي تضع أكبر عدد ممكن من المقاعد والكراسي أمام الباب؛ لأنها قد تساعد على تأخير الشبح ومنعه من الوصول إليها. كما جمعت كل ما وجدته في طريقها ورمته أمام الباب، وبعدها فتحت النافذة.

وفي تلك اللحظة، دار المفتاح في القفل.

فصاحت لوميكي من النافذة بأعلى صوت يمكن لرئتيها أن تطلقاه: «النجدة!».

غير أنها لم تجد أحداً في الخارج. ولكن، لا بد أن يكون هنالك أحد في الحديقة. ألا يوجد شخص يقوم بتنزيه الكلاب أو أي شخص آخر في طريقه إلى وسط المدينة أو إلى المكتبة؟

أخذ الباب ينفتح ببطء كاشفاً عن فرجة صغيرة. وعندها بدأت قوائم الكراسي والمقاعد تصدر صريراً فوق الأرضية التي كانت

تتحرك فوقها.

«أقمت حواجز بيننا يا حبي، في الوقت الذي ظننت فيه أننا سنتجاوز كل تلك العوائق الدنيوية في هذا الحين».

أخذ الشبح ينخر وهو يسعى جاهداً لفتح الباب، وعندها سقط كرسيان بعيداً عنه، فدوّى صدى صوت ارتطامهما داخل الصف والمدخل.

صرخت لوميكي مرة أخرى: «النجدة!».

كان الثلج يهطل في الخارج، وكان أبيض وخفيفاً وناعماً؛ إذ كان ذلك أول هطول حقيقي ورائع للثلوج خلال ذلك الشتاء.

هتف الشبح: «لن يسمعك أحد».

إلا أنه كان هنالك شيء من الشك في صوته، وهذا ما منح رئتي لوميكي قوة مضاعفة. اندفع الشبح إلى داخل الغرفة، ولكنه لم يُنِرها لأنه كان يريد أن يبقى في العتمة وأن يتلاشى فيها.

غير أنّ لوميكي تعرفت عليه بالرغم من ذلك. إذ كانت تلك الغلالة التي تحيط بذهنها قد غادرتها، وعندها عرفت لوميكي هوية الشخص الذي كان يتعقبها.

لقد كان هينريك فيرتا؛ أستاذ علم النفس الذي كان يدرسها.

غير أن إدراكها لذلك جعلها مشدوهة ومذهولة؛ فكيف تمكّن هينريك من الحصول على تلك المعلومات المتعلقة بها؟ وكيف يستطيع ذلك الأستاذ الحنون الذي يُبدي الكثير من المودة أن يكون متوحشاً بطريقة مجنونة؟

لم يكن لدى لوميكي الوقت الكافي للتفكير مَلياً في تلك

الأسئلة، وذلك لأن هينريك كان قد بدأ بإزالة المقاعد والكراسي بعيداً عن طريقه بغضب شديد.

ثم صرخ بها: «أيتها الفاتنة المغوية الحقيرة! لمَ فعلت ذلك بي؟ كل ما أريده هو أن أحبك وأحميك، وأن أضمن سلامتك من أي شر أو مكروه. إننا أنا وأنت روح واحدة في جسدين».

اختطفت لوميكي دباسة ورق ورمتها على هينريك بكل ما أوتيت من قوة، فتمكن من تفادي تلك الضربة في اللحظة الأخيرة، وارتطمت الدباسة بالجدار.

هتف هينريك بصوت يملأه الرضى والسرور: «لم تتمكني مني».

غير أن لوميكي لم تستطع منع نفسها من أن تقول له: «تماماً كما لم تتمكن من تقييمي على الصعيد النفسي. إذ لا يوجد أي شيء نتشابه فيه أنا وأنت. وهذا يعني أنك لا تعرفني على الإطلاق، ولن تتمكن من ذلك أبداً. فضلاً عن أن ما تقول إنه حب ليس كذلك، بل هو مجرد وسواس مريض».

كان خوف لوميكي قد اختفى منذ اللحظة التي تعرفت فيها على هوية هينريك وعرفت أنه لم يصل إلى أعماق أفكارها ومشاعرها. إذ كان قلبها وجوهرها بعيدَي المنال بالنسبة له، ولم يكن بوسعه أن يصل إليهما مطلقاً.

قال لها: «إن لم أتمكن من الحصول عليك، فلن يتمكن من ذلك أي شخص آخر».

كان صوت هينريك قد أصبح هادئاً ومنخفضاً، فعرفت لوميكي أنه كان جاداً في ما يقوله، وأنه سيقتلها إن تمكن من الوصول إليها.

وهنا، قذفت لوميكي أداة ثقب الورق على رأسه، وفي هذه المرة لم يكن لدى هينريك الوقت الكافي ليتفادى تلك الضربة، وهكذا أصابت الزاوية الحادة لتلك الأداة صدغه، فرفع يده مدهوشاً وأخذ يتحسس وجهه، ثم همس قائلاً:

«إن الدم يتدفق الآن في مكان آخر وليس من قلبي فقط».

كانت هذه التمثيلية مثيرة للاشمئزاز، إذ بدا الأمر وكأن هينريك قد صدّق أنه كان يمثل دوراً في مسرحية ما، حيث يتعيّن عليه أن يُلقي أقسى الأبيات التي يمكنه أن يخترعها وأشرسها.

وهنا صرخت لوميكي مرة أخرى بصوت مبحوح: «النجدة!».

دفع هينريك آخر كرسي مبعداً إياه عن طريقه، فأصبح بوسعه أن يصل إليها إن خطا عدة خطوات واسعة. وعندها صرخ:

«لن تتمكني من الابتعاد عني. ولكنني لا أفهم السبب الذي يمنعك من الاستسلام لي».

أبداً. كان ذلك ما خطر ببال لوميكي وهي تتسلق وتصعد إلى حافة النافذة.

صاح بها فجأة بصوت بدت الدهشة واضحة فيه: «ما الذي تفعلينه؟».

جلست لوميكي، ثم دفعت نفسها نحو طرف حافة النافذة، وبعدها جعلت نفسها تتدلى من تلك الزاوية الباردة. لكنها حين نظرت إلى الأسفل، وجدت أن السقوط سيكون من مسافة بعيدة. أجل، كانت المسافة كبيرة جداً، لكن لم يكن أمامها أي خيار آخر.

صاح بها هينريك: «لا تكوني مجنونة!».

ردت عليه: «إنك أنت المجنون الوحيد في هذا المكان».

أحست لوميكي بيدَي هينريك تتلمسان رؤوس أصابعها، ولكنها في ذلك الوقت كانت قد تركت نفسها تسقط باتجاه الأرض، بينما أخذت ندف الثلج تدور حولها، ثم حاولت أن تسترخي قدر الإمكان حينما هبطت في باحة المدرسة.

وبينما كانت مستلقية فوق الثلج الذي هطل للتو، تعجبت لوميكي لأنها لم تكسر أي شيء في طريقها؛ إذ كانت ندف الثلج تتراقص حولها وتسقط فوق وجهها لتذوب عند وجنتيها.

بعد ذلك، بدأ الألم بالظهور.

الخميس، 28 كانون الأول،

بعد مرور أسبوعين

19

في البداية، لم تحرك لوميكي سوى ذراعيها، إذ بدأت تمسدهما لفترة طويلة وبلمسات بطيئة ومتأنية، ثم شدت مرفقيها إلى أن بلغا أذنيها تقريباً، ثم أعادتهما باتجاه ضلوعها. كان الثلج رقيقاً وناعماً، إذ كان يتحرك بسهولة ويسر كما تحركت هي، ثم تذكرت أنه يتعين عليها أن تحرك ساقيها أيضاً.

كان قد مضى وقت طويل منذ أن قامت بذلك، لكن ذلك لم يكن منذ أيام طفولتها، أو قبل أن تبدأ بالذهاب إلى المدرسة، أليس كذلك؟ ربما. فخلال أيام المدرسة الابتدائية، قام زملاؤها الذين كانوا يضايقونها بغمرها بالثلج عدة مرات، لدرجة أن فكرة التمدد تحت الثلج طوعاً لم تكن تروق لها على الإطلاق.

وهكذا، أصبحت ملاك الثلج.

كان الاسم جميلاً، بالرغم من أن كل ما يدور ذلك الاسم حوله يمثّل تلك الكآبة التي كان جسدها يتخلى عنها في الثلج. وهكذا، تشكّلت الأجنحة عبر حركات ذراعيها، أما رداؤها فقد شكلته ساقاها.

ملاك الثلج، كان من عادة لوميكي وروزا أن تملآ الحديقة بأكوام من الثلج. وقبل النوم، كانت روزا تحكي للوميكي قصة ما قبل النوم، والتي كانت تدور حول مجموعة ستأتي خلال الليل لتنام على الأسرّة التي جهزتاها لها. وقد أخبرت روزا لوميكي ذات مرة

بأنها ستبقى ساهرة لترى المخلوقات النورانية حينما تصل، وعندها حثّت لوميكي شقيقتها على قطع وعد لها بإيقاظها عند قدوم تلك المجموعة. وهكذا، وعدتها روزا وأمسكت بيدها، وبعدها غرقت لوميكي بالنوم بينما كانت يد روزا الدافئة تمسك بيدها بنعومة.

سالت الدموع على طرف وجه لوميكي باتجاه أذنيها.

وهكذا، أصبحت الذكريات تتعاقب عليها أكثر فأكثر كل يوم، حيث شعرت وكأن ثمة خزانة للذكريات داخلها مليئة بما لا يحصى من الأدراج، إذ كان كل درج يفتح بدوره. أجل، كانت جميع الأدراج التي ظلت مقفولة لسنوات طويلة قد بدأت تفتح أمامها.

في قديم الزمان، كانت هنالك فتاة غامضة.

في قديم الزمان، كانت هنالك فتاة لم تكن.

والآن، لم يعد أمر روزا سراً؛ إذ بالرغم من أنها ماتت، إلا أنها ظلت باقية في الذكريات وفي الصور وفي القصص التي رواها الناس عنها، أي لم تُمحَ من الوجود. إلا أن استيعاب لوميكي فكرة إخفاء الجميع وجود شقيقتها عنها بشكل كامل كان لا يزال صعباً عليها، بل كانت مصدومة للغاية، لدرجة أنها لم تكن قادرة على تقبل القرار الذي توصل إليه والداها.

لقد توصلا إلى ذلك القرار وهما في حالة صدمة. بل لا بد أنهما كانا قد فقدا عقليهما وحزنا أشد الحزن كما تملكهما الذهول، إذ كانا قد صدّقا أن لوميكي هي التي قتلت روزا، ولكن من دون قصد منها. أجل، فقد حدث ذلك أثناء لعبهما. وقد عزّزت إفادة جينيكا تلك الفكرة، كما لم يتمكن أطباء علم نفس الأطفال من أن ينتزعوا من

لوميكي ما يناقض تلك الرواية للأحداث، إذ كانت لوميكي على ما يبدو قد شرحت كيف كانتا تلعبان «لعبة الموت».

ظن والدا لوميكي أن حمل ذلك الذنب لا بد أن يُثقل كاهل أي طفل، لذا كان من الأفضل أن يطويا صفحة تلك المرحلة من حياتهما إلى الأبد. أما لوميكي فكانت ترى أن الأمر يتعلق بعدم قدرة والديها على مواجهة ماضيهما؛ إذ كانت ابنتهما قد انتُزعت منهما، لذا كان من الأسهل بالنسبة لهما أن يوجِّها تفكيرهما نحو فكرة عدم وجودها أصلاً، أي أنهما رفضا الحقيقة بكل بساطة لأنهما لم يستطيعا تحملها.

وهكذا صارت أسرتهما الجديدة مكونة من طفلة واحدة، وأتلفا كل ما يدل على وجود روزا، فلم تبقَ من ذكراها سوى الصور التي بقيت محفوظة في صندوق للمجوهرات والكنوز كان يعود للفتاتين في الماضي. ثم انتقلت الأسرة من توركو، وطُلِب بإلحاح من كامل أفراد العائلة الممتدة ألا ينبس أحد منهم بأي كلمة عن روزا. أي أخذ والداها على الجميع عهداً بالتزام الصمت، فكانت تلك عائلة تكتم الأسرار، والأغرب من ذلك أن الخطة قد نجحت.

في بداية الأمر، سألت لوميكي عن شقيقتها، ولكن حينما لم يجب عن سؤالها أحد، وحينما أخبروها أنه ليست لديها أية شقيقة كفت عن سؤالهم عنها. غير أن أباها وأمها اعتقدا أنها لا بد أن تنسى، لأن الأطفال ينسون بسهولة، وهذا ما حدث بطريقة ما، على مدار سنوات عديدة.

إلا أن الماضي لا يمكن أن يمحى بسهولة، فلا بد لكل شيء أن يترك أثراً على المرء.

لقد منعت تلك التجربة التي تدور حول الموت والدها من العمل لفترة من الزمن، ولهذا سافر في البداية لوحده إلى براغ ليفكر في ما يريده لحياته. ثم فكر الأبوان بالطلاق، غير أن لوميكي لم تسمع بذلك إلا الآن، أي بعد مرور عقد ونصف من الزمان على ذلك. وبعد ذلك، تدهور الوضع المالي للأسرة، فكان ذلك هو السبب الذي حرمهم من العيش في بيت كبير وجميل يشبه البيت الذي كانوا يقيمون فيه في توركو. وهكذا، تحوّلت تلك الأسرة إلى أسرة لا يتحدث أفرادها بصوت عالٍ حول أهم الأمور التي تعترضهم، أي تحوّلوا إلى مجرد صورة زائفة لأسرة.

عشية الكريسمس، قبل الحدث بأربعة أيام.

جلست لوميكي على الأريكة، وأخذت تنظر إلى رف الموقد، حيث وُضِعت إلى جانب صورة الابنة صورة أخرى للشقيقتين معاً؛ كما كان من المفترض أن يكون الوضع دوماً. ثم أحضرت لها أمها المزيد من الشراب الساخن. كانت الأسرة قد فرغت لتوها من تناول عشاء الكريسمس.

أخذت الأم تلمس شعر لوميكي بنعومة وتردد، وكانت تلك اللمسة تشتمل على الكثير من الكلام؛ أكثر مما قد يُقال في أي مناجاة طويلة. كانت تلك اللمسة بمثابة اعتذار عن كل السنوات التي لم تعرف الأم فيها كيف تكون أماً حقيقية.

أخذ والدها يترنم بكلمات أغنية، فرأت لوميكي الدموع تسيل على خديه. كانت تلك هي المرة الأولى التي تراه فيها يبكي، أو على الأقل كانت تلك هي المرة الأولى التي تتذكر فيها أنه بكى. ربما

سيأتي ذلك الوقت الذي سيصبح فيه من الطبيعي بالنسبة للوميكي في مثل هذه اللحظات أن تنهض، وتتجه نحو أبيها الجالس على كرسيه ذي الذراعين، وتعانقه طويلاً وبشدة، غير أن الوقت لم يحن لذلك بعد.

لقد بقيت هذه الأسرة أسرة تلتزم الصمت؛ إذ لا يمكن لسنين طويلة من الإمساك عن الكلام أن ينهيها مجرد أسبوعين. غير أنه في هذا الحين، أصبحت هنالك نبرة مختلفة كلياً وأكثر سلاماً وصدقاً بالنسبة للصمت؛ إذ لم يعد الصمت أداة للظلم والقمع والخنق، ولم يعد السكوت يكمّ فم لوميكي أو يخنقها، بل أصبح بوسعها أن تتنفس، وأن تحس بالارتياح والثقة بأن كلامها سيأتي في حينه.

حينما سقطت لوميكي من النافذة، كان أحد الأشخاص الذين يقومون بتنزيه الكلاب قد تأخر في العودة، وكان ماراً بالقرب من المدرسة فرآها واتصل بالإسعاف على الفور، ثم أُدخلت لوميكي المشفى على عجل؛ نظراً إلى كونها كانت تعاني من جروح عدة، مع بعض الرضوض والالتواءات، ولكن من دون أن ينكسر فيها شيء. وقد أُجبرت على ارتداء دعامة للعنق لمدة أسبوع، لكن ذلك كان أمراً ثانوياً.

حينما أتى والدها ووالدتها إلى المشفى، أخبرتهما لوميكي بكل شيء. وفي تلك اللحظة، غمرت موجة من الارتياح غرفة المشفى المعقمة، وذلك حينما علم والدا لوميكي أن وفاة روزا كانت مجرد حادث، ثم تواصلا مع جينيكا التي أراحت نفسها بعد كل تلك السنين، وذلك حينما تمكنت من قول الحقيقة كاملة في نهاية الأمر،

إذ كانت الكذبة قد جثمت بثقلها على صدرها كل تلك الأيام.

كانت وفاة روزا قد حصلت بسبب حادث مأساوي، ولا يمكن لأحد أن يُلام على ذلك، كما أن كلمة لو لا يمكن أن تعيدها للحياة. وقد ساعد تفهم تلك الحقيقة وتقبلها كلٌ من تأثر بتلك المأساة على تجاوزها. وهكذا، أصبح بوسعهم رويداً رويداً، وخطوة بعد خطوة، أن يعيدوا الماضي الذي كبتوه إلى حياتهم وأن يجعلوه جزءاً منهم.

تذوّقت لوميكي طعم التوابل في شرابها الساخن، حيث ميّزت طعم القرفة والقرنفل والزنجبيل. ثم أخذت تراقب الحركة البطيئة والحالمة للزينة الهندسية المصنوعة من القش، والتي كانت متدلية من السقف. كان الثلج يهطل في الخارج، بينما كانت مجموعة أغاني الكريسمس التي كانوا يستمعون إليها على وشك أن تنتهي ليحين بعدها وقت النوم.

كانت لوميكي تعرف أنها ستنام لفترة طويلة طويلة، وبعمق، ومن دون أن تزعجها أي كوابيس، وستشعر خلال نومها بكل الأمان.

استكملت لوميكي صنع ملاك الثلج، وأخذت تعدّل شكل أجنحته، وهنا بدأت تفكر في هينريك؛ شبحها، ظلها، الشخص الذي كان يتعقبها، ذلك الرجل المهووس الذي لم يكتشف أحد جنونه وهوسه إلا بعد أن ألقي القبض عليه. فبعدما ألقت لوميكي نفسها من النافذة، هرب هينريك من المدرسة إلى بيته. وبعد مرور ساعتين على الحادث، اقتحمت الشرطة البيت، فوجدوا هينريك غائباً عن الوعي على سريره بعد أن تناول جرعة زائدة من الحبوب المنومة. ولكن الفريق الطبي في المشفى تمكن من إنقاذه.

في بداية الأمر، لم يجد رجال الشرطة في شقته ما يدينه، ولكنهم اكتشفوا لاحقاً أنه قد بنى غرفة في العلية أسماها: «غرفة لوميكي»، حيث قام بتغطية جدران قفص الدجاج بالورق المقوى لئلا يتمكن أحد من مشاهدة ما يوجد في تلك الغرفة.

وحينما تمكنت السلطات من استجوابه أخيراً، اكتشفوا أن هوسه بلوميكي كان قد بدأ فور ارتيادها للمدرسة، إذ كانت حبيبته التي بقيت معه لفترة طويلة قد تركته فجأة حينها، وعندها تدهورت حالته العقلية. لكن لوميكي لفتت نظره، نظراً إلى كونها كانت تنأى بنفسها بعيداً عن باقي الطلاب، وهكذا وقع بغرامها، ثم بدأ بجمع معلومات عنها منذ ذلك الحين.

كان صبوراً ومواظباً ومراوغاً بشكل غريب، حيث أجرى مقابلات مع أشخاص كانوا يعرفون لوميكي في مدرستها السابقة. كما بلغته أنباء عن مضايقة بعض زملاء لوميكي القدامى لها في المدرسة، فشرع بالبحث عن أسمائهم وحاول اكتشاف إلى أي مدى كانوا يضايقونها. كان هينريك يعرف كيف يؤثر على الآخرين، إذ كانت شخصيته هادئة وآسرة وموضع ثقة، وكان يُقدِّم نفسه بشخصيته في بعض الأحيان، وفي أحيانٍ أخرى كان يدعي أنه صحفي أو طبيب استشاري في مدرسة لوميكي أو معالج لها، ولهذا وثق الناس به.

وقد اكتشف معلومات عنها من أقاربها؛ إذ بعد أن أمضى ليلة مع أحد أبناء عمومة والد لوميكي وهو ماتز آندرسون، كشف الأخير في نهاية المطاف بأنه كانت لدى لوميكي شقيقة أكبر منها وتوفيت. وبالاعتماد على كل المهارات الممكنة، بالإضافة إلى معارفه

وعلاقاته، نجح هينريك أخيراً في الوصول إلى محضر ضبط الشرطة المتعلق بوفاة روزا.

دوماً هنالك أناس يعرفون أناساً آخرين، كما أن فنلندا ليست سوى دولة صغيرة. لذا، إن أردت أن تعرف شيئاً، فما عليك سوى أن تعزم على ذلك، وأن تكون ماكراً وذكياً بما يكفي للحصول على المعلومات. غير أن مرض هينريك العقلي إن دل على شيء فإنما يدل على أن كل الذكاء والسحر اللذين كان يتمتع بهما قد تم توجيههما ليحقق أهدافه بلا هوادة ومن دون أن يكل أو يمل.

وحينما بدأت لوميكي بمواعدة شخص آخر، كان ذلك هو الدافع الذي حفّزه للبدء بالتصرف. إذ كان قد قطع أشواطاً في هوسه وجنونه، حيث أصبحت رغبته بامتلاك لوميكي كشيء خاص به لا تعرف حدّاً، ولم يكن من الممكن أن يقف أي شيء في طريقه للحصول عليها. كان يريد أن يعرف عنها كل شيء ليمتلكها، ويسيطر عليها بما يعرفه؛ فكان ذلك جزءاً من لعبة القوة والسيطرة التي لعبها.

كان هينريك يتجسس على لوميكي، كما كان يتعقبها، ويراقبها؛ إذ كان يتتبع كل حركة تقوم بها. إلا أنّ أوقح تصرف بدر منه هو عندما ذهب وتحدث إلى والدَي لوميكي، وأخبرهما أنه يعمل كأخصائيّ نفسي في مدرستها، وأنها قد قابلته عدة مرات وحدثته عن أفكارها السوداوية، ثم جعلهما يقطعان عهداً بعدم إخبار لوميكي عن أي شيء حول موضوع زيارته. وفي الوقت ذاته، سرق مفتاح صندوق الصور الذي أخبره عن مكانه قريبهم ماتز آندرسون.

لم تكن لوميكي تعرف أي شيء ممّا فعله هينريك، ولم تكن تريد

أن تعرف أيضاً، إذ كان أهم شيء بالنسبة لها هو أنه أصبح في السجن في ذلك الحين، وأنه لن يعود قادراً عن تتبعها بعد ذلك.

تم تأجيل ليلة افتتاح عرض التفاحة السوداء، إلا أن الثلج استمر بالهطول ليوم آخر قبل عطلة الكريسمس. غير أن لوميكي كانت تريد من القائمين على العرض أن يقوموا بعرضه بالرغم من ذلك، وبالرغم من كل ما جرى. وهكذا، أدت لوميكي دورها وهي ترتدي دعامة العنق. وفي النهاية، كان العرض أفضل مما توقع الجميع.

كانت تلك ليلة مهمة بالنسبة للوميكي؛ إذ ساعدها مرور العرض بسلام ومن دون حدوث أي من المشاهد المرعبة التي صوّرها هينريك لها على تجاوز محنتها، إذ لم تكن تلك المشاهد موجودة إلا في خياله المريض، ومن المستحيل أن تتحول إلى حقيقة وواقع.

لم تشعر لوميكي ببرودة الثلج الذي كان خلف ظهرها، إذ لم تحس بذلك بعد، ولهذا قررت أن تبقى مستلقية لفترة أطول لتراقب السماء الساطعة المزدانة بالنجوم، والتي كانت تتراءى لها كقبة مظلمة وبعيدة فوقها، ومليئة بنقاط مضيئة.

أدركت لوميكي أنها لو توصلت لقرار مختلف، لكانت مستلقية الآن فوق الثلج ويدها بيد سامبسا.

وأنها لو توصلت لقرار مختلف، لكانت تستلقي الآن فوق الثلج ويدها بيد بليز.

إلا أن يدَي لوميكي بقيتا فارغتين، لأنها وحيدة.

إذ اضطرت أن تخبر سامبسا بأنها لن تستطيع مواصلة رؤيته،

وبأنها أحبته فعلاً، وانسجمت معه كثيراً، وعشقته بطريقة ما، إلا أنه لم يكن يصل لعمق أفكارها، ولتلك الظلال الموجودة في غابتها؛ إذ لم يكن بوسع سامبسا أن يرى تلك الأمور لأنها غير موجودة بالنسبة له. كان عالمه مختلفاً عن عالمها، بل كان أكثر إشراقاً وأشد نوراً.

كما اضطرت لوميكي أن تخبر بليز بأنها لا تستطيع أن تعود إليه بالرغم من أنها عشقته، وما زالت تعشقه من كل قلبها. كان بليز يراها بشكل كامل، إلا أنه كان بوسعه أن يجرحها في أعماق روحها، لذا لم تكن مستعدة لتعريض نفسها لهذا الخطر مرة أخرى.

غير أن السبب الأهم الذي أجبر لوميكي على توديع كل من سامبسا وبليز كان يتمثل في أنها لم تستطع أن تثق بأي منهما تماماً؛ إذ ظنت في لحظة من اللحظات بأن أحدهما يمكن أن يكون الشخص الذي كان يتعقبها، بالرغم من أن ذلك الظن قد خامرها للحظة عابرة عندما كانت في مدينة الملاهي، وسرعان ما تلاشت شكوكها بعد ذلك، غير أن تلك الشكوك بقيت تؤكد لها أنها لا يمكنها أن تثق بأحدهما من كل قلبها. إذاً، كيف يمكنها أن تكون بصحبة شخص لا تثق به؟ وكيف يمكنها بعد ذلك أن تنظر إلى عينَي أحدهما بعدما شكَّت ولو للحظة بأنه يمكن أن يكون شريراً وقاسياً؟ إذ يجب ألا يبقى المرء بصحبة أي شخص حينما تراوده شكوك من هذا النوع حياله.

بقيت الدموع تنهمر على وجهها، غير أنها تركتها تسيل بحرية.

إذ كانت تبكي بسبب عدة أمور في وقت واحد.

كانت تبكي على شقيقتها التي ماتت والتي لم تتمكن من رثائها والبكاء عليها طيلة تلك السنوات.

وكانت تبكي من أجل أسرتها التي حرمت من الروابط الدافئة والمبنية على الألفة والثقة والتي يمكن لأي أسرة أن تتمتع بها.

كانت تبكي لأنها اضطرت للتخلي عن السعادة والحب.

وكانت تبكي لأنها وحيدة.

وفجأة، أحست بأن نجوم السماء باتت أقرب إليها، وأن نور تلك الشموس البعيدة المتلألئة كان يريحها. كان الكون هائلاً وفسيحاً بالنسبة لها، وهنا توقفت دموعها عن الانهمار، وأحست فجأة بتحسن؛ إذ كانت مجرد شيء صغير مقارنة بكل شيء في هذا الوجود. كما أن كل إنسان في هذا الكون لا بد أن يصبح وحيداً في نهاية المطاف، إلا أنه لم يكن هنالك أي أحد وحيد، فالجميع خلقوا من العناصر ذاتها، ثم إن لوميكي نفسها كان متينة كالصخر وهشة كالبلور، قوية كالموج وأعواد القصب وضعيفة كالعشب والأوراق المتحللة، قوية كقرص الشمس الملتهب وضعيفة كالفراغ البارد للفضاء.

كانت بحد ذاتها مؤلفة من عدة طبقات وأوجه، كما كانت تتشعب في اتجاهات عدة كحكاية خيالية عمرها آلاف السنين كانت قد بدأت قبل أن يخترعوا عبارة «في قديم الزمان» بأمد بعيد، وستسمر طويلاً بعد عبارة: «وعاشوا جميعاً بسعادة وهناء»، وذلك لأنه لا شيء يحدث لمرة واحدة فقط، فكل القصص والحكايات ظهرت في أوقات وأزمنة عديدة، ولكن طرأت عليها تحولات وتبدلات. كما لم يعش أحد بسعادة وهناء بعد ذلك، وكذلك لم يعش بتعاسة وشقاء، وذلك لأن كل البشر يعيشون بسعادة وبشقاء، إذ تتعاقب عليهم تانك الحالتان في أوقات مختلفة، وقد يعيش البعض الحالتين معاً في وقت واحد.

كان ذلك هو عالم لوميكي الذي ثمة فسحة داخل ظلمته ونوره للعاطفة والخوف واليأس والبهجة. كان الهواء الذي يملأ رئتيها يشعرها بالدوار، كما كانت معانقتها للسماء تشعرها بأنها باتت أكثر اكتمالاً، وأنها أصبحت تشبه نفسها أكثر، وأنها حرة. ضغطت لوميكي براحتيها على الأرض التي كانت الثلوج تغطيها، وتمنت أن تتحول إلى رقاقة ثلج تهطل في ذلك الحين، لتتوحد بحالة اللاتناهي التي تتمتع الأرض بها.

هب نسيم مسائي عليل على الحديقة، فحرك أغصان الأشجار التي أصبحت سوداء، كما حرك ظلالها وأشباحها.

كان الكون يتنهد وينبض حول لوميكي بنبض واحد؛ ألا وهو نبضها.

مكتبة
telegram @ktabpdf
telegram @ktabrwaya
جديد الكتب والروايات

تابعنا على تيليجرام اضغط هنا

تابعنا على فيسبوك اضغط هنا

«... وكانت هناك فتاة،
وكان لها ظلّ».

تتألف ثلاثية «بياض الثلج» من روايات:
«حمراء كالدَّم» و«بيضاء كالثلج» و«سوداء كالأبنوس».

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic

ISBN 978-614-01-1316-9

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com